قال تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

مجلة مختارات

www.hizb-ut-tahrir.info
من المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

حزب التحرير
المكتب الإعلامي المركزي

في هذا العدد...

نستعرض إن شاء الله، مواضيع متعلقة بقضايا متعددة من الحملة الواسعة التي أطلقها القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير والمؤتمر العالمي اللذين يسلطان الضوء على الخلافة والتعليم: إحياء العصر الذهبي في الأمة.

مختارات ٨٥ - عدد خاص/ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - آذار / مارس ٢٠١٧م

التعليم ودوره في هدم الخلافة

علمنة المناهج في بلاد الإسلام

تشكيل التربية الإسلامية لبناء الشباب المسلم...

التعليم في العالم العربي ...

كيف يجب أن يكون المعلم

حق المرأة في التعليم ...

الخلافة والتعليم
إحياء العصر الذهبي

الكلمة الافتتاحية

عند التفكير بعلماء المسلمين، ومفكريهم، وعلماء الرياضيات منهم، والمعلمين، والمهندسين... فإنه يتبادر إلى الأذهان النظام التعليمي الذي أنتج مثل هؤلاء الأفـذاذ الذين أصبحوا مساهمين فاعلين في مجتمعهم. شخصيات عظيمة كالمخترعين والعلماء أصبحوا مكونا دائما ثابتا في الكتب المدرسية المتعلقة بمواضيع شتى حيث أصبحت أعمالهم وأساليبهم محور دراسة واهتمام، ومهدت مفاهيمهم الطريق أمام التكنولوجيا الحديثة. عندما وجدت مثل هذه الشخصيات التاريخية العظيمة في حياة المسلمين، كان لذلك تأثير واضح في حياة الأمة الإسلامية. تلك هي عظمة الإسلام وروعته عندما تحرك عقيدته القلوب وتقود العقول للتفكير والابتكار وتخطي حقيقة الوجود والتحرك نحو مجالات لم يسبق أن بحثت، جاعلين من الصعاب أمرا سهل المنال... كل ذلك ابتغاء مرضاة اللّه سبحانه وتعالى... وسعياً إلى كشف أسرار عقل الإنسان وجسده ومحيطه كله، حتى على مستوى الفلك والفضاء في أبعد الكواكب وأكثرها ظلمة. ومع الدعم الكامل بجميع أشكاله من قبل الدولة الإسلامية العظيمة، دولة الخلافة، شهدت هذه العقول المبتكرة أفكارها وفرضياتها وهي ترى النور لتحيا قرونا طويلة بعد وفاتهم.

وبدافع العقيدة ذاتها التي يحملها المسلمون اليوم، فإن دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، القادمة قريبا إن شاء اللّه؛ سوف تمهد الطريق من جديد لرعاياها لتعيد عصر المجتمع المسلم الراقي قبل أن تنطلق انطلاقة متسارعة نحو الأمام لتستأنف كقوة عالمية رائـدة، رعايةً رفيقة رحيمة بعقول شباب الأمة المعطاءة.

وفي هذا العدد، سنطلع القراء الكرام على مواضيع شتى تركز في جوهرها على التعليم وما طرأ عليه من أمور، مع مقارنة نظم التعليم والمناهج الغربية الحالية بنظم التعليم في الإسلام التي كانت وستكون في دولة الخلافة على منهاج النبوة القائمة قريبا بإذن اللّه، كما سنستعرض أثر أنظمة التعليم العلمانية الغربية وسياساتها على الأمة الإسلامية وأهمية الحفاظ على بناء شخصيات إسلامية ليتمكن المسلمون من أن يكونوا كما أراد اللّه تعالى ورسوله ﷺ لهم؛ خير أمة أخرجت للناس.

فريق مجلة مختارات

المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - آذار / مارس ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

مختارات من المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الكلمة الافتتاحية	٢	بيان صحفي: حملة عالمية: «الخلافة والتعليم: إحياء العصر الذهبي» أطلقها القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير	٤
التعليم ودوره في هدم الخلافة	٥	علمنة المناهج في بلاد الإسلام «كالغُرُّ يكمن حيناً ثم ينتشرُ»	٨
تشكيل التربية الإسلامية لبناء الشباب المسلم لمواجهة تحديات الحياة في القرن الـ ٢١ ١. بناء التفكير الناقد	١١	التعليم في العالم العربي... صورة قاتمة تندر فيها الألوان المبهجة!	١٣
كيف يجب أن يكون المعلم في الإسلام؟!	١٥	حق المرأة في التعليم: بين الواقع المظلم والخطابات الرنانة	١٨
نظام التعليم الباكستاني الفاسد يدمر مستقبل أبنائه	٢٠	ما قيمة التعليم إذا غاب الأمن وامتزج الكتاب بالدم؟!	٢٢
المرأة والتعليم في ظل الخلافة العثمانية	٢٤	القيم التي يجب تحقيقها في سلوك الأطفال	٢٦
المدارس الأفغانية تُسَخَّر لخدمة الحرب الاستعمارية بدلًا من العملية التعليمية!	٢٨	الحقيقة المأساوية لعلمنة نظام التعليم في بنغلادش	٣٠

مجلة مختارات

مختارات من المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
تحوي في طياتها بعض ما تم نشره على موقع المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير وإذاعته.
إصدارات حزب التحرير، الولايات، المكاتب الإعلامية، الناطقين الرسميين والممثلين الإعلاميين لحزب التحرير تعبر عن رأي الحزب، وما عدا ذلك فهو يعبر عن رأي كاتبه وإن نشر في مواقع حزب التحرير أو مجلة المكتب الإعلامي المركزي.

يجوز الاقتباس وإعادة نشر ما تصدره المجلة أو موقع المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير، شريطة أمانة النقل والاقتباس ودون بتر أو تأويل أو تعديل، وعلى أن يُذكر مصدر ما نقل أو نشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

حزب التحرير
HIZB UT TAHRIR

المكتب الإعلامي
المركزي

الخميس، ١٩ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ | ٢٠١٧/٢/١٦م | رقم الإصدار: ١٤٣٨هـ/٠٣١

مترجم

حملة عالمية:
«الخلافة والتعليم: إحياء العصر الذهبي»
أطلقها القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

بيان صحفي:

في السادس عشر من شباط/فبراير، أطلق القسم النسائي في المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير حملةً عالميةً مهمّة بعنوان «الخلافة والتعليم: إحياء العصر الذهبي». والتي ستتوّج بإذن الله، بمؤتمر عالمي مهم للمرأة في ١١ آذار/مارس في جاكارتا، إندونيسيا ستحضره متحدثات من مختلف أنحاء العالم.

يعاني العالم الإسلامي اليوم من «أزمة تعليم» ذات أبعاد كبيرة، كان أبرز ما فيها تدنٍ في مستوى المدارس والكليات والجامعات والمرافق التعليمية الأخرى. كما تشهد المنطقة نسبةً عاليةً من الأمّية وضعف التدريب وتدّني رواتب المعلمين واستخدام أساليب تدريس غير فعالة، إضافةً إلى صعوبة الحصول على تثقيف جيد شامل بالإسلام، وتضييق الخناق على المنح المدرسية لتعلّم الدين، وعدم توفير فرص كافية للبحث والتخصص. وعلاوةً على ذلك، فإن أولياء أمور الطلاب يواجهون عبئًا ماليًا هائلاً للحصول على مستوى جيد من التعليم. كل هذا حطّم التطلعات التعليمية لجيل المستقبل في هذه الأمة، وأدى إلى هجرة كثير من العقول للغرب، وساهم في ركود التقدم والتنمية في العالم الإسلامي. وكان السبب وراء هذه الأزمة التعليمية هو فرض نظم التعليم الاستعمارية القائمة في بلاد المسلمين منذ أكثر من تسعة عقود خلت بعد هدم الخلافة. لم يكن الهدف من هذه النظم تحقيق التطلعات التعليمية للأمة، أو رفع المعايير الأكاديمية للمجتمعات، أو تحقيق التقدم والتنمية في بلاد المسلمين. بل كانت مجرد وسيلة تُستخدم من قبل المستعمرين لغرس ونشر الثقافة الليبرالية العلمانية والحفاظ عليها في أذهان الأجيال القادمة من المسلمين في الوقت الذي تُقيد فيه وتعمل على علمنة مفاهيم الإسلام. كان الهدف هو استعمار عقول الشباب المسلمين وجعلهم عبيدًا للثقافة والنظام الغربيين لتحقيق مزيد من الأهداف الاستعمارية في المنطقة.

كما واصلت الأجيال المتعاقبة من القيادات العلمانية المدعومة من الغرب في العالم الإسلامي تطبيق هذا النظام التعليمي الرجعي وأقدمت على مزيد من الإصلاحات العلمانية فيه تحت ستار زائف أسموه تطوير التعليم. وكانت هذه المناهج خالية من أية رؤية مستقلة من شأنها أن تخدم بإخلاص الاحتياجات التعليمية لشعوبهم، وأن تساهم في التقدم في بلادهم. وفي السنوات الأخيرة، كُثِّفت هذه الأجندة التي تهدف إلى علمنة النظم التعليمية في العالم الإسلامي. إلى جانب هذا كله، فإن عقودًا من سوء التنظيم وضعف الاستثمار في التعليم بسبب الأنظمة الفاسدة الفاشلة الرأسمالية وسياساتها، وعدم امتلاك رؤية واضحة، كل هذا أدى إلى فشل في إعطاء التعليم الأهمية التي يستحقها ما فاقم «أزمة التعليم».

لقد كانت بلادنا في ظل الحكم الإسلامي في دولة الخلافة التي أعطت أهمية بالغة ودعمًا كبيرًا لاكتساب ونشر المعرفة على النحو الذي يحدّده الإسلام، لقد كانت مركزًا للتعلم في العالم. كما جذب التفوق الأكاديمي للمؤسسات التعليمية آنذاك أفضل الأكاديميين والمفكرين من مختلف أنحاء العالم ووفّر تعليمًا من الدرجة الأولى لآلاف الطلاب، وأوجد وفرةً من الباحثين والعلماء، وأسس عصرًا عُرف بالابتكار والاكتشاف، وخلق حضارةً عظيمةً أصبحت قوةً عظمى في العالم... وإن الواجب علينا هو العمل الدؤوب لإعادة خلافة الإسلام، خلافة الحق والعدل، لتعود بلاد الإسلام شعلة تعليمية مضيئة بالخير كما كانت، ليس لبلاد الإسلام فحسب، بل وفي أكناف بلاد الإسلام.

إننا عبر هذه الحملة والمؤتمر الذي ستتوّج به نسعى إلى دعوة المسلمين في العالم لإحياء هذا العصر الذهبي للتعليم والمسارعة للعمل لإقامة الخلافة على منهاج النبوة. كما سنقدم الرؤية التي تتبناها دولة الخلافة لسياسة التعليم وقدرتها عمليًا على أن تبني نظامًا تعليميًا من الدرجة الأولى سيخرّج شبابًا مسلمًا يحمل شخصيات إسلامية نموذجية مميزة، وستحقق التطلعات التعليمية للرجال والنساء على حد سواء، وستحيي العصر الذهبي للعلم من جديد وستخلق حضارةً رائعةً رائدةً في العالم في مجال الابتكار والتطور والتقدم العلمي والصناعي.

وستتعرض الحملة والمؤتمر للأجندة الحالية المكثفة التي تسعى إلى علمنة التعليم في العالم الإسلامي، والأسباب التي أدت إلى أزمة التعليم في المنطقة. فضلاً عن تقديم توجيهات بشأن التربية الإسلامية لأبناء المسلمين في ظل غياب دولة الخلافة.

كما يمكنكم متابعة الحملة على:

http://www.hizb-ut-tahrir.info/ar/index.php/dawahnews/cmo/41863.html

وعلى صفحة الفيسبوك:

www.facebook.com/WomenandShariahA

د. نسرين نواز
مديرة القسم النسائي
في المكتب الإعلامي المركزي
لحزب التحرير

المكتب الإعلامي المركزي حزب التحرير HIZB-UT-TAHRIR Central Media Office

التعليم ودوره في هدم الخلافة

نجحت الدول الأوروبية لا سيما إنجلترا وفرنسا، ثم أمريكا في ضرب دولة الخلافة العثمانية ضربات مدمرة، بعد أن اتفقت دول الكفر على القضاء على الإسلام وتقسيم بلاد المسلمين، وسلكت لذلك طرقا عدّة، فكان التعليم أحد الأبواب التي اشتغلت عليها لسنوات طوال، من خلال الغزو التبشيري والثقافي باسم العلم، وقد رصدوا له ميزانيات ضخمة وجيشوا له جيشا من المبشرين والمستشرقين والمعلمين والراهبات، واتخذوا اسطنبول وبيروت مركزين رئيسيين كقاعدة لهم، ومن ثم ألحقوا القاهرة وبلدان الشمال الأفريقي. ورغم تباين المناهج السياسية الأوروبية والأمريكية باعتبار مصالحهم الدولية، لكنها كانت متفقة في الغايات، وهي بعث الثقافة الغربية في الشرق، وتشكيك المسلمين في دينهم وحملهم على الامتعاض منه، واحتقار تاريخهم.

وقد اشتدّ نشاط الحركات التبشيرية خصوصا بعد إنشاء مركز بيروت التبشيري سنة ١٨٢٠م، ونشط المبشر الأمريكي «إيلي سميث» نشاطا ظاهرا إذ كان يشتغل في التبشير متطوّعا ويشرف على مطبعة الإرساليات في مالطة، ففتح هو وزوجته مدرسة للإناث في بيروت ووقف حياته للعمل في بيروت وبلاد الشام بوجه عام، وقد شاركت الحركات التبشيرية في الحركة التعليمية مشاركة ظاهرة، من خلال التركيز على اللغة العربية بقطعها عن القرآن، وكان هذا المدخل الواسع للعودة باللغة العربية لصفاتها الأولى، بعرض الأدب القديم وتصدير الكتب والمؤلفات الغربية، التي كان لها الدور الكبير في تحويل الناس إلى الغرب وأفكاره، وقد تجند لذلك النصراني «ناصيف يازجي» و«الأب لويس شيخو» ممن أشرفوا على مركز بيروت الذي استهدف العقيدة الإسلامية وأفكارها، ووصل إلى نتائج في منتهى الفظاعة كان لها أثر بالغ في إزالة الإسلام من العلاقات والمعاملات وطرق العيش وهدم الدولة الإسلامية، وفتح اليسوعيون مدارس وكليات لهم، كالكلية المعروفة بجامعة يوسف اليسوعية، وفتح الأمريكان الكلية البروتستانية سنة ١٨٦٦م المعروفة اليوم بالجامعة الأمريكية في بيروت التي قامت بأبشع حملات التشويه ضدّ أفكار الإسلام وتاريخ المسلمين... وكذا كان الأمر في بلاد الشام بما في ذلك سوريا وفلسطين، بتشجيع من إبراهيم باشا وتأثير من فرنسا وإيعاز منها، فقد فتح الباب على مصراعيه أمام المبشرين ووجد الفرنسيون والإنجليز والأمريكان ترحيبا من حكومته مما جعلهم يصولون ويجولون في البلاد بافتتاح المدارس وطباعة الكتب وترجمتها للعربية باسم «العلم والثقافة»... أما مركز اسطنبول، فقد أضرّ كثيرا بالثقافة الإسلامية من خلال الحركة التعليمية التي كانت بعيدة عن إشراف الدولة إذ لم تكن خاضعة لوزارة الأوقاف العثمانية، فأنشئت المدارس والمعاهد وتعاقبت طباعة الإرساليات التبشيرية وتشكيكها في الأفكار والأحكام الإسلامية، ومن جهة أخرى، كان صدور قانون الإصلاح في المناهج التعليمية العثمانية لمجاراة التطور العلمي في أوروبا، باباً لإرسال البعثات الخارجية من الطلاب المسلمين إلى فرنسا وإنجلترا وتأثرهم بالحياة الغربية والتطور المادي ونمط العيش، مما جعلهم متحمّسين لحملة الإصلاحات التربوية في كل ولايات الدولة.

وفي عام ١٨٧٦م، صدر قانون نص على أن التعليم الابتدائي إلزامي لكل الأطفال في الدولة، ونص على مجانية التعليم. ومنذ عام ١٨٧٩م، ظهرت المدارس العلمانية إلى جانب المدارس الدينية التي يديرها العلماء، فقد كفلت الدولة العثمانية لرعاياها من غير المسلمين حقهم في التعليم فأنشأت مدارس للملل المختلفة، وهي المدارس التي تقيمها الطوائف الدينية غير الإسلامية الخاضعة للدولة.

وتم افتتاح مدارس تبشيرية للبعثات التنصيرية الأمريكية والنمساوية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية التي افتتحت في عديد من المدن الكبرى بالولايات العثمانية، ولقد أدى ضعف الدولة العثمانية إلى كثرة هذه المدارس وعدم السيطرة عليها، حتى إن هذه المدارس كان لها دورٌ في إسقاط الخلافة.

ويقول المبشر زويمر مخاطبا زملاءه في مؤتمر التبشير المنعقد بالقدس الإسلامية «لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية... والفضل إليكم أيها الزملاء، أنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام». وإثر تولّيه الحكم في تركيا، شنّ مصطفى كمال حربا قاسية على مناهج

التعليم التي كانت موثوقة بالشريعة الإسلامية واللغة العربية، فألغى التعليم الديني، وحارب العلماء المسلمين، واستبدل الأحرف اللاتينية بالعربية، وفرض سياسة العلمنة في الدولة والقانون والتعليم بقوة النار والحديد.

أما في مصر، فقد شنّ محمد علي باشا حملة ضد التعليم الديني بعد أن استأثر على الحكم في مصر عام ١٨٠٥م إلى عام ١٨٤٢م وخروجه عن الدولة العثمانية، وقد ساندته فرنسا دوليا وسياسيا بشكل مكشوف، فاحتل فلسطين ولبنان وسوريا وسار نحو الأناضول؛ وفي ذلك الطريق أهمل التعليم في الأزهر والكتاتيب وكان ذلك خارج نطاق اهتمامه؛ وكان اهتمامه بالمقام الأول بنظام التعليم الحديث ليكوّن جيشا قويا يحارب به الدولة العثمانية في المقام الأول.

وقد عمد آنذاك إلى تنصيب مدراء تعليم أجانب فرنسيين وإنجليز على المدارس المصرية ليُشرفوا على عملية التعليم مباشرة، وتجهيز كفاءات محلية ضمن البعثات الخارجية واعتُبروا فيما بعد بروّاد الإصلاح التربوي، حيث بلغ عدد الطلاب الذين أوفدهم إلى أوروبا في زمنه ٣١٩ طالبا (نموذجهم رفاعة الطهطاوي صاحب كتاب «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» الذي ألفه بعد عودته من فرنسا وامتدح فيه الحياة الفرنسية بكل مفرداتها من طريقة التفكير والتعليم والتعامل بين الأفراد). ولا أدقّ مما صوره اللورد كرومر عن الاختراق الفكري لمثل هذه البعثات حينما قال «إن الشبان الذين يتلقون علومهم في إنجلترا وأوروبا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ممزقين».

وسار محمد علي باشا وعائلته في احتواء التعليم المدني وتهميش التعليم الأزهري واستبعاده، ليكون هدفه الأساسي من خلال هذه السياسة هو جعل مصر قطعة من أوروبا كما كان يقول ولده إسماعيل، وقد أيقن أن التغيير لن يكون إلا بتغريب التعليم.

وقد تهافتت أجيال على مصر من بعده، تحمل مشعله وتقود حرب العلمنة والعداء للثقافة الإسلامية، باسم التطور والعلم ومواكبة العصر، خصوصا بعد الاختلاط بين الجنسين في التعليم، وانتهاج المناهج المتأثرة بالحضارة الغربية في العلوم والفنون والأدب والتاريخ واللغة.

ولم يقتصر الأمر على مناهج كرومر ودنلوب، فقد كان أذيال الفكر الغربي لا يقلون عنهما رغبة في صبغ مصر والعالم الإسلامي بالصبغة اللادينية الغربية، وقد كان لفكر محمد عبده وجمال الدين الأفغاني الدور الكبير في التأثير على التربية والتعليم داخل مصر، بيان تأثرهما بالثقافة الغربية والإنجليزية تحديدا، فيما حظي الكاتب المصري «قاسم أمين» صاحب كتاب تحرير المرأة بدعم «محمد عبده» خصوصا بعدما سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا وانضم لجامعة مونبلييه، ليعود إلى مصر عام ١٨٨٥م متشبّعا بالفكر الغربي لينتقد الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق والميراث، في كتبه ومؤلفاته ومقالاته في الصحف، والتي تنقل الثقافة الغربية وفكرة الحريات المطلقة. ثمّ كان لطه حسين ولطفي السيد من بعده باعٌ كبيرة في نقل الفكر العلماني ومظاهره والترويج له وكذلك علي الشعراوي زوج هدى الشعراوي وغيرهم الكثير...

كما تأثر إبراهيم باشا بتجربة محمد علي باشا، فعمد إلى إحداث التغيير في برامج التعليم في منطقتي سوريا ولبنان، المستوحاة من برامج التعليم في مصر والمأخوذة من برامج فرنسا، ممّا جعل منها فرصة ذهبية بيد التبشيريين للمشاركة في الحركة التعليمية مشاركة ظاهرة في بلاد الشام.

وفي كل هذا، كانت المفارقة كبيرة بين تطور التعليم المدني مقارنة بجمود التعليم الديني داخل الدولة العثمانية، عن طريق إهمال العلوم الشرعية والكتاتيب والجامعات الإسلامية العريقة كالأزهر والزيتونة وحصر وظيفتهم في التعليم الديني، أما الوفود المبتعثة إلى الخارج فهي التي تشغر وظائف في مؤسسات الدولة لأنها كفاءات علمية قادرة على الإدارة ومجاراة التطور. وفي عهد الخديوي إسماعيل تم استصدار قانون سنة ١٨٧٢ خاص بتنظيم الأزهر وإصلاحه «وتنص فقرة ب منه على: «تحديد الدراسات التي تعطى بالأزهر بإحدى عشرة مادة هي: الفقه وأصول الدين والتوحيد والحديث والتفسير والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق».

ومن وقتها، بدأت الحملات العلمانية المتعاقبة على بلاد الإسلام، واتخذت من التعليم سلاحا ثقافيا يهدم حصون الأمة من الداخل، وبدأت دعوات الاستشراق والتبشير والتغريب تطغى على المناهج التعليمية، وبدأ معها التسويق لعقيدة فصل الدين عن الحياة بربطها بكلمة العلم في تقديم هذه العقيدة المناقضة للإسلام. فكان من التضليل الشديد أن تُقَدم كلمة «العلمانية» المشتقة من مفردة العلم في اللغة العربية كترجمة لكلمة السيكيولاريزم في اللغة الإنجليزية والتي لا ترتبط بلفظ العلم في قواميسهم، بل هي فكرة شمولية عن الإنسان والكون والحياة عند الغرب.

وانتقلت في بلدان إسلامية كثيرة إبان سقوط الخلافة، ووجد الغرب نفسه متفرّدا بالأمة، فالعداء الذي كان متغلغلا في نفوسهم والحقد الذي كان يأكل قلوبهم كان للإسلام، فكانت الضربات قوية في الأمة وكان الاستعمار الثقافي في أوجه، ففي مؤتمر أدنبرج التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠م قالت اللجنة الثالثة التي كانت تبحث في الأعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون: اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوي التي أسسها الأوروبيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية، يرجع على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها...

أما في بلدان المغرب فقد عمد الاستعمار الفرنسي إلى التوجّه مباشرة للتعليم، باعتباره مجالا خصبا لزرع بذور الفرانكفونية، من خلال محاربة اللغة العربية وتعويضها باللغة الفرنسية، ليتمّ بذلك استعباد أهل المغرب وقلعهم من جذورهم الحضارية والتاريخية المرتبطة بالامتداد الإسلامي.

يقول الجنرال الليوطي المقيم العام الفرنسي بالمغرب من خلال دوريته الشهيرة عام ١٩٢١ «إن العربية عامل من عوامل نشر الإسلام، لأن هذه اللغة يتم بواسطتها تعلّم القرآن، بينما تقتضي مصلحتنا بأن نطور البربر خارج نطاق الإسلام».

فكان المدخل ثقافيا ولغويا، من منظور القضاء على الثقافة الإسلامية واللغة العربية، لتصبح اللغة الفرنسية أكثر من لغة تدريس بل هي بالمعنى البيداغوجي، إيديولوجية تربط المسلمين بفرنسا وتطمس هويّتهم وانتماءهم، وهذا ما يؤكده جورج هاردي مدير التعليم في المغرب خلال المرحلة الاستعمارية حيث قال «أما عن المواد العامة التي ستتخلل هذا التعليم التطبيقي، فهي بطبيعة الحال اللغة الفرنسية، التي سنتمكن بواسطتها ربط تلامذتنا بفرنسا، والتاريخ الذي يجب أن يعطيهم فكرة عن عظمة فرنسا».

أما في الجزائر فقد جاء في أحد التقارير الفرنسية (لجنة القروض الاستثنائية سنة ١٨٤٧م): «لقد تركنا المدارس تسقط وشتتناها، لقد أُطفئت الأنوار من حولنا، أي أننا حولنا المجتمع المسلم إلى مجتمع أكثر جهلا وبربرية مما كان عليه قبل معرفتنا».

فقد كان المستوى التعليمي الذي كان سائدا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، ما صرح به «ديشي» - المسؤول عن التعليم العمومي في الجزائر - في قوله: «كانت المدارس بالجزائر والمدن الداخلية، وحتى في أوساط القبائل كثيرة ومجهزة بشكل جيد، وزاخرة بالمخطوطات. ففي مدينة الجزائر هناك مدرسة بكل مسجد، يجري فيها التعليم مجانيا، ويتقاضى أساتذتها أجورهم من واردات المسجد، وكان من بين مدرسيها أساتذة لامعون تنجذب إلى دروسهم عرب القبائل...».

لذلك عمد الاحتلال إلى غلق الكثير من المدارس وطرد المعلمين ومحاربة اللغة العربية، وإخراج الناشئة من البيئة الإسلامية المثقفة إلى بيئة أمية جاهلة، كما تمّ سنّ قانون يمنع فتح مدارس عربية والتضييق على المدارس القرآنية في إطار سياسة الدمج ثم العلمنة. وقد وظف الاستعمار كل إمكانياته، من أجل الاستراتيجية الاستعمارية، حيث استطاع أن يكوّن فئة من الجزائريين ممّن آمنوا بالأبوة الفرنسية من أمثال سعيد الفاسي وربيع الزناتي وفرحات عباس وغيرهم ممن نشروا ثقافة الغرب وتنكّروا لأمتهم واندمجوا في الحضارة الأوروربية عن طريق سياسة التعليم.

أما في تونس فقد أخَذَ المعلم الفرنسي دور الريادة في هذا المجال، لإبراز مزايا الحضارة الغربية وتوجيه الجيل الجديد للامتثال بالأوروبيين، والتنصل من تراثهم الذي ينتمي في نظرهم إلى أمة متعصبة، وهذا ما مكّن أوروبا من استمرارية مشروعها الاستعماري بتنصيب أذناب الفرانكفونية، الذين يُشكّلون الساحة الخلفية لفرنسا في مستعمراتها. وهذا ما يعبّر عنه صراحة ومن دون موارية المستشرق الفرنسي «جود فروي» حيث قال «يجب أن تسخّر كل الوسائل التي تحت سلطاننا لمحاربة زحف العربية والإسلام».

فقد عمد «بورقيبة» رئيس تونس بعد الاستقلال الوهمي، إلى علمنة التعليم بشكل واضح واستهداف الهوية الإسلامية للنشء وفق ما نصت عليه مجلة الأحوال الشخصية التي أصدرها. متخذا «مصطفى كمال نموذجا فذّا له»، وليس أنكى من ذلك إلا المناهج التي كانت تدرس في مدارس الحكومة والتي كانت مملوءة بالطعن والسموم فيما يتعلق بالإسلام وتاريخه وحضارته، ومفعمة بالتقدير والإكبار الذي يصل درجة التقديس فيما يتعلق بأوروبا وتاريخها وحضارتها... أمّا جامعة الزيتونة التي تُعَدّ أوّل جامعة إسلامية شُيّدت في التاريخ الإسلامي فقد استهدفها بورقيبة مباشرة وجعل أول «إنجازاته» غداة تمكُّنِه من الحكم إغلاق الزيتونة مع مصادرة أملاكه متمثلة أساسا في الحُبُس والأوقاف، وتشريد خِرّيجيه وإلغاء التعليم والتدريس فيه بحجة توحيد مناهج التعليم، فكانت سنة ١٩٦٥م سنة «النهاية الفعلية» لإشعاع منارة الزيتونة على العالم وانطفاء شعلتها العلمية.

وهكذا كان لاستهداف الغرب للمناهج التعليمية واحتوائها دورٌ كبير في هدم الخلافة العثمانية والسيطرة على الأجيال المسلمة من بعد فقدان دولتهم، والقطع مع العقيدة الإسلامية وحرف مسار الأمة فكريا وحضاريا... وليس أصدق من شهادة أحد شعراء المسلمين في الهند حيث قال «الاستعمار أذكى من فرعون الذي استخدم سياسة قتل الأولاد، ولم يفتح لهم مدارس وكليات تقتلهم من حيث لا يشعرون كما فعل المستعمرون».

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
نسرين بوظافري

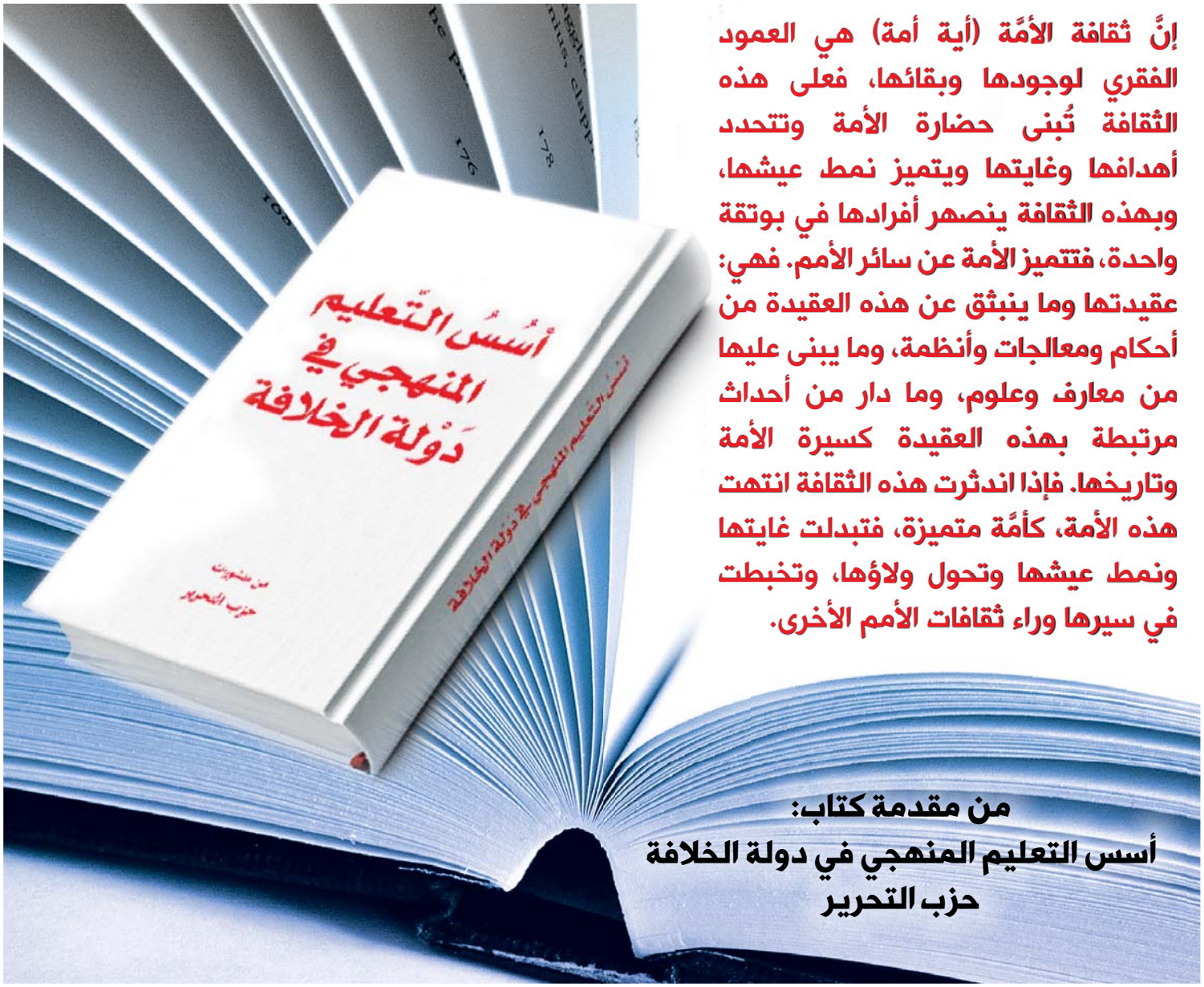

إنَّ ثقافة الأمَّة (أية أمة) هي العمود الفقري لوجودها وبقائها، فعلى هذه الثقافة تُبنى حضارة الأمة وتتحدد أهدافها وغايتها ويتميز نمط عيشها، وبهذه الثقافة ينصهر أفرادها في بوتقة واحدة، فتتميز الأمة عن سائر الأمم. فهي: عقيدتها وما ينبثق عن هذه العقيدة من أحكام ومعالجات وأنظمة، وما يبنى عليها من معارف وعلوم، وما دار من أحداث مرتبطة بهذه العقيدة كسيرة الأمة وتاريخها. فإذا اندثرت هذه الثقافة انتهت هذه الأمة، كأمَّة متميزة، فتبدلت غايتها ونمط عيشها وتحول ولاؤها، وتخبطت في سيرها وراء ثقافات الأمم الأخرى.

من مقدمة كتاب:
أسس التعليم المنهجي في دولة الخلافة
حزب التحرير

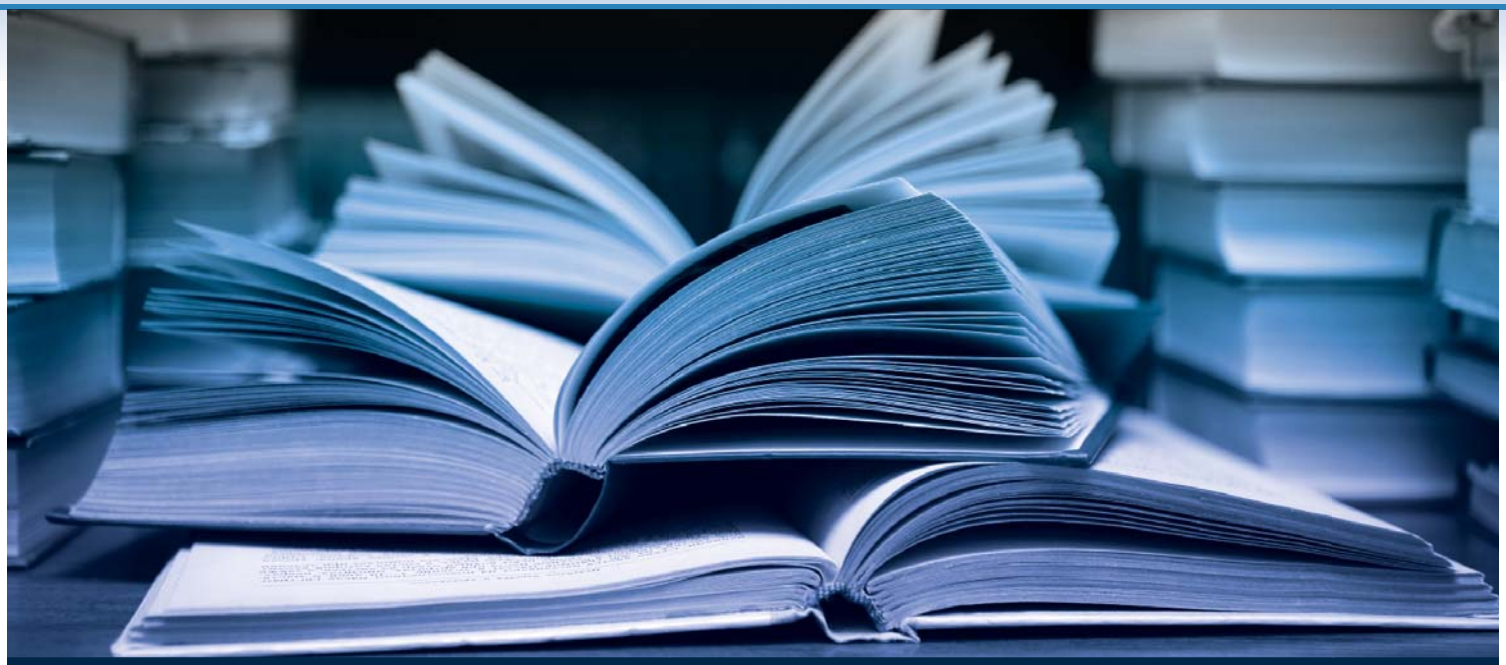

علمنة المناهج في بلاد الإسلام
«كالعُرُّ يكمن حيناً ثم ينتشرُ»

عاشت منطقة العالم العربي خلال الفترة الأخيرة حملة قوية على المناهج التعليمية في بلدان عديدة من مثل تونس والأردن وفلسطين والمغرب والجزائر، بدعوى خدمة التطور العلمي ومواكبة التسارع المعرفي، وممّا لا شك فيه أن مناهجنا التعليمية في حاجة ماسة للتحسين والتطوير، بل للتغيير الجذري الذي يؤسس لرؤية تعليمية وتربوية جديدة ويخلق ثورة علمية متقدمة تساهم في بناء شخصيات مفكرة ومبدعة وتتميز بالسَّبَق المعرفي وتفتح الأبواب أمام الطاقات والقدرات التي تخدم هذا التطور.

لكن الخطير في الأمر أن هذه التغييرات تهدف أساسا إلى علمنة المناهج التعليمية والقطع مع العقيدة الإسلامية، في سياق الحرب على (الإرهاب والتطرف)، فقضية المناهج في منطقتنا العربية والإسلامية ليست شأنا داخليّا يرتبه العلماء والمفكرون ويديره أصحاب الاختصاص، وإنما هي ذات شأن عالمي تخضع لإشراف دول العالم الغربي التي تتخذ طرقا مختلفة لعلمنته، كمؤتمرات «حوار الأديان» التي توصي عادة بتغيير المناهج في البلدان الإسلامية لإتاحة المجال أمام تقارب الأديان، أو اشتراط الجهات الدولية المانحة كصندوق النقد والبنك الدوليين بفرض بعض المقرّرات التعليمية واستبعاد أخرى، مقابل تمديد المنح والقروض وإسقاط بعض الديون على البلدان المعنية، أو مفاوضات ومباحثات الشراكة الأورو متوسطية التي تلزم فيها أوروبا الدول الأخرى بتغيير المناهج مقابل المنح والشراكة ونحوها، وكذلك الندوات والمؤتمرات الدولية التي تنظمها جهات دولية مختلفة، كمنظمات الأونروا واليونسكو واليونيسيف التي تحاول دمج القيم العالمية «العولمة» في مناهج التعليم وترسيخ الأفكار الداعية للنظام العالمي الجديد، وتشتغل في ذلك على مشروعين: أحدهما يهتم بمنطقة الشرق الأوسط والثاني بدول حوض البحر المتوسط.

والملاحظ أن مطالب التغيير التي تفرضها الدول الكبرى تخضع لتغيّرات الأحداث السياسية عبر العالم، ومرتبطة أساسا بالموقف الدولي من الإسلام، فكلما زاد الوعي السياسي على أساس الإسلام في الأمة، يزداد التضييق على المناهج التربوية وتتصاعد حملة التوصيات الدولية بضرورة تعديلها والنص على عدم معاداة الغرب، وعدم التحريض على الجهاد، والدعوة إلى السلم، والتطبيع مع كيان يهود ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والعيش المشترك، وكله يخدم مشروع (مكافحة الإرهاب والتطرف) كما حصل في العراق بعد الغزو الأمريكي وكذلك في أفغانستان حيث كان العمل على تبديل المناهج ضمن الحرب على الإسلام للتخلص من فكرة الجهاد ضد أمريكا، أو التغييرات التي طرأت على المناهج في السعودية بعد أحداث أيلول حيث تم حذف محور الولاء والبراء كاملا من مقرر التوحيد، أو تلك التي شهدتها الدار البيضاء إبان التفجيرات في المغرب حتى وصلت الدعوات إلى حذف كلمة الجهاد من كل الكتب المدرسية. وكذا في الإمارات والكويت واليمن حيث صرح رئيس وزرائها «علينا تنفيذ التغيير في مناهج تعليمنا قبل أن تأتينا مترجمة من أمريكا، فنحن شعب مسلم ولا ضرر من تخفيف الجرعة الدينية»!

والناظر في عدوى التعديلات الأخيرة أو كما وصف الشاعر الأخطل «العُرّ» يعني الجَرب، يُدرك أنها جاءت إثر الحراك الشعبي في بلدان الثورات العربية وبلاد الشام، حيث ارتفعت الأصوات بتطبيق الإسلام كاملا وطرد الاستعمار، ممّا استدعى وجوب التصدي لهذا المدّ الإسلامي الذي يُعتبر التهديد الحقيقي للغرب وحضارته، فأخذت الأردن المبادرة في التعديل حتى طال لحية الرجل وخمار المرأة ولباسها في صور كتاب القراءة، وتم حذف درس كامل حول سورة الليل، واستبدل به درس آخر حول السباحة، كما تم استبدال درس العدد في القرآن الكريم ووضع مكانه درس الحمامة الصغيرة، في الوقت ذاته تم إلغاء حفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في بعض الدروس. ونموذج آخر لدرس عن ابن بطوطة، حيث تم حذف الجملة التي تحدثت عنه، من حيث إنه تعلّم القرآن والشعر منذ الصغر. وكذا كان الأمر في فلسطين فقد تم حذف الكثير من الآيات

القرآنية التي تحث على قتال يهود والأحاديث النبوية التي تدعو للجهاد وقتال الكفار، أما في الجزائر فقد أثارت تعديلات وزيرة التربية «بن غبريط» جدلا واسعا، هذه الوزيرة ذات التوجه الفرانكفوني العميق، اقترحت وزارتها في مطلع هذا العام إدراج اللهجة العامية الجزائرية في المراحل الابتدائية من التعليم بدل اللغة العربية الفصحى، إضافة إلى ما تداولته وسائل الإعلام المحلية بشأن لجوء دائرتها الوزارية إلى الخبراء الفرنسيين من أجل الإصلاحات المطروحة. كما تم وضع اسم (إسرائيل) بدل فلسطين على خارطة كتب الجغرافيا للصف الأول من المرحلة الإعدادية وقررت الوزارة سحبه إثر الضجة التي أثيرت من حوله بحجة أن الخطأ كان مطبعيا! أما في تونس فقد استعرض وزير التربية مؤخرا استراتيجيته في الإصلاح التربوي واقترح تخفيف المواد العلمية كالرياضيات والفيزياء لإعطاء المساحة الكافية لتعلم الموسيقى والرقص في المدارس والمعاهد المختلطة حتى يشعر التلميذ بالسعادة كما أن كتب القراءة الموجهة للصفوف الأولى تحمل نصوصا وصورا خادشة للحياء مما أثار موجة استياء من أولياء الأمور.

فالناظر للتعديلات المتزامنة مع بعضها في البلدان العربية يدرك أن الغاية من عملية «الإصلاح التربوي» الذي يزعمونه ليس من أجل تطوير المناهج وتحسين المستوى الفكري ومنه العلمي للطالب، وإنما هي عملية تغيير جوهري للمفاهيم التي تُبنى عليها المناهج والتي تقتضي استهداف الدين والقيم والتاريخ والشرع، وهذا ما يعني طمس الهوية الإسلامية بالكامل، فالمشكلة إذاً ليست في تبديل بعض المصطلحات التي تجلب الحساسيات أو تستفز أتباع الشرائع الأخرى، بل العلمنة الشاملة لبرامج التعليم حتى تُدمّر الأجيال، فكريا وحضاريا ومعرفيّا، فلا هي نافعة في الدين ولا هي نافعة في العلم.

ولا يعني وصفنا للمناهج بالتغيير أن الأصل سالم ومبرأ، فقضية علمنة المناهج كانت ضمن مخططات الاستعمار الغربي إبان سقوط دولة الخلافة العثمانية ودخول الاحتلال الفرنسي والإنجليزي لبلدان الشمال الأفريقي كالمغرب والجزائر وتونس مرورا بمصر، ومن بعده الاستعمار الأمريكي العسكري والثقافي، وهذا بالضبط ما وعاه مدير التعليم في المغرب خلال الفترة الاستعمارية (جورج هاردي) الذي يقول: «إن انتصار السلاح لا يعني النصر الكامل؛ إن القوة تبني الإمبراطوريات؛ ولكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار والدوام. إن الرؤوس تنحني أمام المدافع؛ في حين تظل القلوب تغذي نار الحقد والرغبة في الانتقام. يجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان. وإذا كانت هذه المهمة أقل صخبا من الأولى؛ فإنها صعبة مثلها؛ وهي تتطلب في الغالب وقتا أطول».

ومن وقتها، بدأت الحملات العلمانية المتعاقبة على بلاد الإسلام، واتخذت من التعليم سلاحا ثقافيا يهدم حصون الأمة من الداخل، وبدأت دعوات الاستشراق والتبشير والتغريب تطغى على المناهج التعليمية، وبدأ معها التسويق لعقيدة فصل الدين عن الحياة بربطها بكلمة العلم في تقديم هذا العقيدة المناقضة للإسلام. فكان من التضليل الشديد أن تُقدم كلمة «العلمانية» المشتقة من مفردة العلم في اللغة العربية كترجمة لكلمة السيكولاريزم (Secularism) في اللغة الإنجليزية والتي لا ترتبط بلفظ العلم في قواميسهم، بل هي فكرة شمولية عن الإنسان والكون والحياة عند الغرب.

وعمد الاحتلال الأوروبي آنذاك إلى تنصيب مدراء تعليم أجانب فرنسيين وإنجليز على المدارس المصرية والجزائرية والمغربية ليُشرفوا على عملية التعليم مباشرة، وتجهيز كفاءات محلية ضمن البعثات الخارجية واعتُبروا فيما بعد بروّاد الإصلاح التربوي، كإصلاحات محمد علي باشا في مصر والبعثات العلمية التي أوفدها حيث بلغ عدد الطلاب الذين أرسلهم إلى أوروبا في زمنه ٣١٩ طالبا (نموذجهم رفاعة الطهطاوي صاحب كتاب «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» الذي ألفه بعد عودته من فرنسا وامتدح فيه الحياة الفرنسية بكل مفرداتها من طريقة التفكير والتعليم والتعامل بين الأفراد. ولا أدقّ مما صوره اللورد كرومر عن الاختراق الفكري لمثل هذه البعثات حينما قال «إن الشبان الذين يتلقون علومهم في إنجلترا وأوروبا يفقدون صلتهم الثقافية والروحية بوطنهم، ولا يستطيعون الانتماء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ممزقين».

وسار محمد علي باشا وعائلته في احتواء التعليم المدني وتهميش التعليم الأزهري واستبعاده، ليكون هدفه الأساسي من خلال هذه السياسة هو جعل مصر قطعة من أوروبا كما كان يقول ولده إسماعيل، وقد أيقن أن التغيير لن يكون إلا بتغريب التعليم.

وانتقلت عدوى تغيير المناهج في بلدان إسلامية كثيرة، منها تونس، على يد طليعة المثقفين الذين تعلموا في الجامعات الفرنسية، وتشبعوا بثقافة الغرب العلمانية، وعلى رأسهم «بورقيبة» رئيس تونس بعد الاستقلال الوهمي، الذي اعتُبر ابن فرنسا المدلّل والمتأثر بوجه خاص بمصطفى كمال هادم الخلافة العثمانية. ومنذ تولّيه الحكم، عمد بورقيبة إلى علمنة المناهج التعليمية تحت عنوانه الكبير «تحديث التعليم» والاستغناء عن مؤسسة الجامعة الزيتونية باعتبارها «مؤسسة تقليدية لا تعطي إلا تعليماً تقليدياً يتركز أساساً على الدين»، كما عبّر هو، وتحويل الجامعة الدينية الزيتونية العميقة الجذور في تاريخ المجتمع الإسلامي إلى مجرد كلية للشريعة وأصول الدين من الطراز الحديث خاضعة في مناهجها وبرامجها وبيداغوجيتها لخط سلطة الدولة التحديثي، بهدف إقصائها عن المشاركة السياسية والثقافية، باعتبار أن النخبة التقليدية المثقفة ذات التنشئة الزيتونية (دينية) تفصلها هوة تاريخية عميقة عن الثورة العلمية، ولم تكن إصلاحاته موجّهة لإنتاج العقول المبدعة والمهارات الصناعية وإنما كانت عبارة عن محاولة لتصفية الحساب مع الثقافة الإسلامية والعربية التي لطالما احتقرها بورقيبة ورأى فيها سبباً من أسباب التخلف.

أما في المغرب والجزائر فقد عمد المستعمر الفرنسي إلى ضرب اللغة العربية ومحاربتها واعتماد اللغة الفرنسية منذ الصفوف الابتدائية، وقد استطاعت السياسة الفرنسية الحاقدة أن تكوّن فئة من المثقفين انفصلت عن شعبها، وتنكرت لأمتها، واندمجت في الحضارة الأوروبية، وتجنّست بالجنسية الفرنسية، ودافعت عنها دفاعا مستميتا، وبخاصة منذ مطلع القرن العشرين وطالما أن بأيديهم مفاتيح التغيير فقد أرادوا أن يكون التغيير عميقا وجذريا، بحيث يترك آثاره التدميرية في الأجيال اللاحقة، فكان العمل على تغريب التعليم هو المنطلق والغاية.

وقد أشرفت الكنيسة على قطاع التعليم بشكل كبير في مناطق الحوض المتوسط حيث أصدر والي فرنسا آنذاك الأميرال كيدون سنة ١٨٧١م أوامره إلى الآباء البيض (وهم أعضاء منظمة تبشيرية فرنسية) قائلاً: «إنكم إذا سعيتم إلى استمالة الأهالي بواسطة التعليم وبما تسدون إليهم من إحسان تكونون بعملكم هذا قد قدمتم خدمة جليلة لفرنسا؛ واصلوا عملكم بحنكة ودراية وحيطة، ولكم مني التأييد، وفي إمكانكم أن تعتمدوا علينا كل الاعتماد».

وكان العمل في لبنان وسوريا على علمنة المناهج مُركّزا وقويا، إذ عمد المستشرقون العرب على التأثير على سياسة التعليم خصوصا أنهم يُجيدون اللغة العربية، فشوهوا التاريخ الإسلامي المشرق وحوّلوه إلى امبراطورية غاشمة، كما اهتموا بمادة اللغة العربية وأوغلوا في ترجمة القصائد والروايات والنصوص الفرنسية والتي تستعرض قيما غربية عن السعادة والإنسان والحياة.

وزادت وطأة الحرب على المناهج التعليمية مع دخول أمريكا لبلاد الإسلام، فقد توالت الحملات والمؤتمرات والندوات التي تهتم بشأن علمنة المناهج في العالم الإسلامي خاصة في منطقتي الشرق الأوسط

والخليج العربي، ضمن محاربة (الإرهاب) ومحو الصورة السلبية عن أمريكا وكيان يهود، والعالم الغربي عموما، وكانت التصريحات واضحة في اتفاقية كامب ديفيد، واتفاقية أوسلو ومعاهدة مدريد؛ ففي عام ١٩٧٩م جاء في دستور منظمة «الإسلام والغرب» التي يرعاها «اليونسكو» ويرأسها اللورد كارادون: «إن مؤلفي الكتب المدرسية لا ينبغي لهم أن يصدروا أحكاماً على القيم سواء صراحة أو ضمناً، كما لا يصح أن يقدموا الدين على أنه معيار أو هدف».

كما توالت التقارير التي تُعدها مجموعة الخبراء السياسيين الأمريكيين كمجموعة ١٩ أو مؤسسة راند أو مؤسسة الأيباك، والتي تقدّم مجموعة من الدراسات والتوصيات يتم رفعها إلى جهاز الأمن القومي الأمريكي ومنها إلى الرئيس مباشرة، وجاء في بعض الدراسات: «إن أهداف الحملة الأمريكية على (الإرهاب) يمكنها السيطرة على الأجيال القادمة لمدة عشر سنوات وهو ما يعتبر مسكّناً وقتياً، لكن تغيير مناهج التعليم من المرحلة الابتدائية هي التي تضمن وجود أجيال غير إرهابية».

وهكذا فإن مشروع «علمنة المناهج لم يكن مستحدثا، ولم يكن التركيز على العلم بقدر التركيز على العلمنة وهذا ما جعل الكثير من البلدان العربية تحتل مراتب متدنيّة عالميّا حسب تقرير الخارجية الأمريكية حول التعليم في العالم العربي، فليست الغاية من كل هذا التركيز على المناهج إحداث ثورة علمية في بلاد الإسلام بل لنشر الجهل والتخلف والقطع مع الإسلام.

ونستعرض ختاما أهم الإملاءات الأخيرة بخصوص علمنة المناهج في العالم العربي:

١- أن تخلو المناهج من معاداة الغرب والتحريض على الجهاد ضد حلفاء أمريكا ويهود والغرب عامة.

٢- أن تجنح المناهج للسلم والتسامح.

٣- الدوران في فلك ثقافة الغرب.

٤- محو الثقافة الإسلامية والشخصية الإسلامية.

٥- التطبيع مع كيان يهود من خلال المناهج وعدم التحريض على قتالهم.

٦- إن المناهج تعتمد على حفظ المعلومات وترديدها دون إبداع وابتكار.

٧- والسبب الأهم هو أن التعليم الديني الشرعي هو العدو الأول للسياسة الأمريكية والغربية.

لكن وبرغم كل هذه الجهود الدولية، والمؤامرات العالمية المفروضة على سياسة التعليم في العالم الإسلامي، والتي امتدت لقرن كامل من الزمان، لم تقدر السياسة الأمريكية والفرنسية والإنجليزية على إنجاح مُخططاتها الاستعمارية بالكامل ولا على احتواء كل الأجيال وصبغهم بالثقافة الغربية، لأن ما نراه اليوم من توجهات للأمة الإسلامية نحو استئناف الحياة الإسلامة بإقامة الخلافة على منهاج النبوة، يعكس قوة هذه العقيدة الربانية في عقول الناس وقلوبهم، وإن التغيير النهضوي الذي تُريده الأمة يقوم أساسا على تغيير موازين الحكم في العالم، واستعادة سلطان الإسلام، وأن المسلمين يُدركون جيدا حجم الشر الذي يُراد بهم، لذلك فهم ماضون إلى تحقيق ثورة فكرية مبدئية تنتج من ورائها ثورة علمية صناعية، ولا يُعَوّلون على هذه المناهج المُقررة لأنها صنيعة الغرب أولا وأخيرا الذي لا يرغب لهم خيرا ولا فلاحا، أما الإسلام فهو باق فيهم؛ لأن كتاب اللّه بين أيديهم وما إن تمسّكوا به فلن يضلوا بعده أبدا.

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
نسرين بوظافري

إن الأفكار في أية أمة من الأمم هي أعظم ثروة تنالها الأمة في حياتها إن كانت أمة ناشئة، وأعظم هبة يتسلمها الجيل من سلفه إذا كانت الأمة عريقة في الفكر المستنير.

أما الثروة المادية، والاكتشافات العلمية، والمخترعات الصناعية، وما شاكل ذلك، فإن مكانها دون الأفكار بكثير، بل إنه يتوقف الوصول إليها على الأفكار، ويتوقف الاحتفاظ بها على الأفكار.

فإذا دمرت ثروة الأمّة المادية فسرعان ما يعاد تجديدها، ما دامت الأمّة محتفظةً بثروتها الفكرية. أما إذا تداعت الثروة الفكرية، وظلت الأمّة محتفظةً بثروتها المادية فسرعان ما تتضاءل هذه الثروة، وترتد الأمّة إلى حالة الفقر. كما أن معظم الحقائق العلمية التي اكتشفتها الأمّة يمكن أن تهتدي إليها مرةً أخرى إذا فقدتها دون أن تفقد طريقة تفكيرها. أما إذا فقدت طريقة التفكير المنتجة فسرعان ما ترتد إلى الوراء، وتفقد ما لديها من مكتشفات ومخترعات. ومن هنا كان لا بد من الحرص على الأفكار أولاً. وعلى أساس هذه الأفكار، وحسب طريقة التفكير المنتجة تكسب الثروة المادية، ويسعى للوصول إلى المكتشفات العلمية والاختراعات الصناعية وما شاكلها.

والمراد بالأفكار هو وجود عملية التفكير عند الأمّة في وقائع حياتها، بأن يستعمل أفرادها في جملتهم ما لديهم من معلومات عند الإحساس بالوقائع للحكم على هذه الوقائع. أي أن تكون لديهم أفكار يبدعون باستعمالها في الحياة فينتج عندهم من تكرار استعمالها بنجاح طريقة تفكير منتجة.

من مقدمة كتاب: النظام الاقتصادي في الإسلام - حزب التحرير

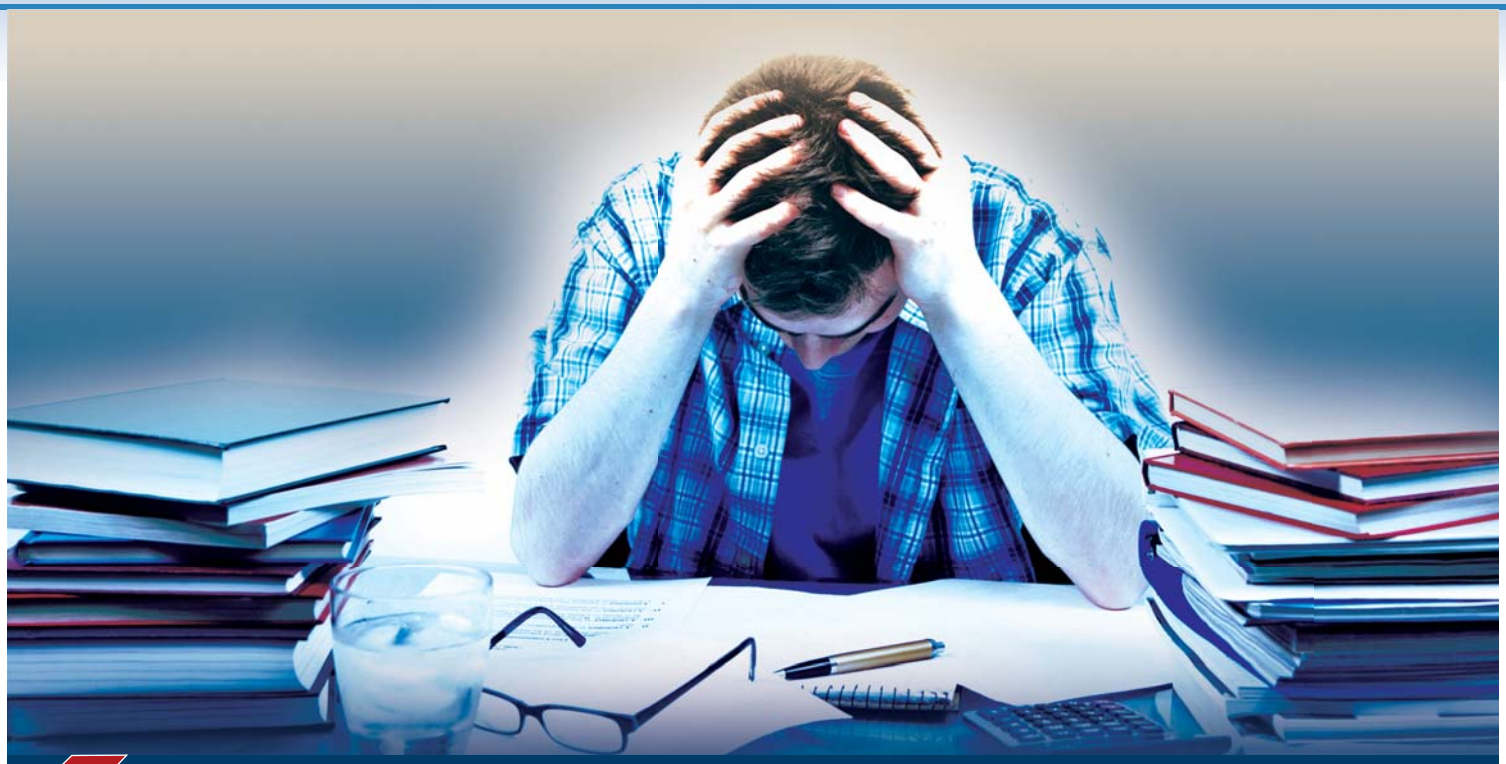

مترجم

تشكيل التربية الإسلامية لبناء الشباب المسلم لمواجهة تحديات الحياة في القرن الـ ٢١
١. بناء التفكير الناقد

واحدة من أثمن الهدايا التي يمكن أن نقدمها لأطفالنا هي منحهم القدرة على التفكير بأنفسهم عن قضايا الحياة والعالم بطريقة تجعلهم قادرين على تمييز الحق من الباطل في كل الأمور وعدم خضوعهم بسهولة في تفكيرهم وأحكامهم الصادرة لآراء المحيطين بهم.

في عالم اليوم، يمطَر الشبان المسلمون بوابل من المعلومات حول الطريقة الليبرالية الغربية في الحياة وحول الإسلام. من جهة، يتم تعزيز النظم والقيم الغربية واعتبارها طريقة العيش الأعدل والأكثر تحضرا التي يمكن أن تضمن لهم السعادة والازدهار والنجاح، بينما من جهة أخرى، تهاجم معتقدات الإسلام، وأحكامه وأنظمته بلا هوادة، وتتهم بكونها قمعية، ورجعية، وغير متحضرة وتؤدي إلى البؤس والسخط. في مثل هذه البيئة، لا بد من أن نبني التفكير النقدي في شبابنا حتى يمكنهم إيجاد معنى من كل هذه المعلومات وليكونوا مخولين لتمييز الحقيقة من الأكاذيب. بعد ذلك سيكونون قادرين على إصدار أحكام صلبة وصحيحة واختيار الأفكار ونمط الحياة التي يعتمدونها، وصياغة الآراء حول القضايا والأحداث العالمية والروايات المختلفة عن طرق العيش.

القرآن يوجه المؤمن مرارا للتفكير بعمق في القضايا بدلا من الاتباع الأعمى من أجل وضع استنتاجات صحيحة حول القضايا، بما في ذلك الأدلة على وجود الله سبحانه وتعالى وحقيقة الإسلام. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥]

الله سبحانه وتعالى أيضا يدين التقليد الأعمى لمعتقدات وآراء الآخرين. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ويقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

طريقة التفكير النقدي هي وسيلة لدراسة المسائل لإلقاء الأحكام السليمة القائمة على براهين واضحة ودراسة عميقة، وليس بناء على الأقوال، والادعاءات، أو الرأي المهيمن في المجتمع أو الاستنتاجات الرجعية السطحية. هذه الطريقة في التفكير لا يمكن تطويرها ببساطة فقط عن طريق نقل المعرفة الإسلامية لأطفالنا. بل يتطلب ذلك منا تشجيعهم باستمرار على السؤال والتفكير بعمق في الأفكار والادعاءات ووجهات النظر التي يتم تقديمها لهم ومن ثم يقررون ما إذا كان يقبلون أو يرفضون من خلال تقييم دقيق لسلامة الأدلة التي تستند عليها تلك الأفكار والادعاءات ووجهات النظر. وعلاوة على ذلك، اعتمادا على عمر ومستوى فهم الطفل، ينبغي عرض جوانب مختلفة من الحجة لهم وبعد ذلك ينبغي إرشادهم وتوجيههم في التفكير في صحة كل أمر من أجل التوصل إلى حقيقته.

على سبيل المثال، نظرية التطور والادعاء من قبل أنصارها بأن الإنسان تطور خلال عملية فيها مخلوقات وكائنات أقل تعقيدا تغيرت إلى كائنات معقدة بطريقة عشوائية أساسا دون جهة توجيه، أي بدون إله. مع مثل هذه الفكرة السخيفة، ينبغي حث الطفل على السؤال حول ما إذا كان هناك أي مثال في الحياة يمكن أن نلاحظ فيه تطور بنية بسيطة إلى واحدة أكثر تعقيدا من خلال عملية عشوائية دون وجود يد توجهه؟ علاوة على ذلك، ينبغي أن يكون السؤال ما إذا كان حكما سليما الاعتقاد بأن مخلوقا واحدا «تطور» إلى آخر فقط من مراقبة أوجه التشابه في بناء الهيكل العظمي الأحفوري أو معالم جثث حيوانات في وقت لم يكن فيه أحد على قيد الحياة ليشهد مباشرة ويسجل هذا التطور. من محض التكهنات ومن المثير للسخرية الادعاء بأن طوبة يمكنها أن «تتطور» بنفسها إلى بيت

مستقلةً عن أي قوة خارجية بالاستناد كدليل على أن كليهما من مواد مماثلة، على الرغم من أنه ليس لديهما أي قوة للتطور إلى أي شيء بغض النظر عن عدد ملايين السنين التي تمر وبغض النظر عن أي نوع من البيئات المختلفة التي يتعرضان لها. فكيف يمكن لمثل نظرية سخيفة بأن تكون مقبولة كدليل لنفي وجود الخالق مقابل مدى عقلانية، ومنطقية الحجة التي تقول بأن أي شيء موجود وله تصميم يحتاج إلى كائن ذكي لإيجاده وتصميمه. أو الحجة المنطقية العقلانية التي تقول بأن أي شيء محدود أو يعتمد على شيء آخر لبقائه ووجوده - كما هو الحال لكل شيء في هذا الكون - لا يمكنه خلق نفسه وبالتالي يحتاج إلى شيء ذاتي الوجود غير محدود خارج هذا الكون لإيجاده. وهذا الشيء الذي خلق الإنسان والحياة والكون هو الله سبحانه وتعالى. وليس هناك أي شيء يمكن ملاحظته في هذه الحياة يتعارض مع هذه المبادئ. وبالتالي، يجب أن يكون شبابنا قادرين على فهم أن وجود الله هو الحقيقة، استنادا إلى البراهين العقلانية القاطعة بدلا من نظرية غير قابلة للإثبات على أساس مجرد افتراض كفرضية التطور.

دعونا نأخذ مثالا آخر، مثل الادعاء بأن أي طريقة للعيش، مثل طريقة الإسلام الذي يرفض القيم الليبرالية مثل الحريات الشخصية والجنسية هي طريقة قمعية. مع مثل هذا الاتهام، يجب أن نشجع أطفالنا على السؤال بأنه كيف سيكون السقوط حقيقياً في مجتمع يسمح لأفراده ببساطة باتباع رغباتهم وفعل ما يشتهون، إلى جانب مفهوم المساءلة أمام الخالق والعيش وفقا لأحكامه وشريعته. فهل سيولد النوع الأول من المجتمع احتراما للمرأة، أو حماية لتناغم الحياة الأسرية، أو ضمانا لحقوق الأطفال؟ الإجابة هي لا، والدليل على ذلك المشاكل والجرائم الاجتماعية العديدة التي تعاني منها المجتمعات الليبرالية اليوم، والتي تسببت بشعور الكثيرين بالظلم. في المقابل، فإن المجتمع الذي تحكمه قوانين الخالق سيشبع فيه الأفراد غرائزهم ولكن بطريقة تعود بالنفع على سلامة وانسجام الجميع، وفقط من شأن الخالق الذي خلق البشر أن يعرف كيفية تحقيق ذلك.

وبالتالي، ينبغي تشجيع أطفالنا على توظيف طريقة التفكير النقدية هذه لجميع المسائل - سواء أكانت تتعلق بمعتقداتهم الإسلامية، وأفكار الأمم الأخرى، أم الأحداث السياسية في العالم. فمثلا، عندما يتم تعريض الشباب المسلم لأسباب وحلول المشاكل السياسية، فإنه لا بد من هدايتهم إلى تقييم حقيقة هذه المزاعم. فعلى سبيل المثال، عندما يواجه الشباب السرد العلماني المهيمن والحجة بأن معظم الحروب سببها الدين أو التطرف الإسلامي، نحن هنا يجب أن ندفعهم إلى دراسة المصادر الحقيقية التي أدت لعدم الاستقرار الحالي والصراعات في العالم بدلا من مجرد قبول هذه الادعاءات دون سؤال. عندما يفعلون ذلك، سيدركون بإذن الله بأن معظم الحروب وأعمال (الإرهاب) يكون سببها صراعات على السلطة والثروة، أو الغضب المثار من قبل الاحتلال واستعمار الأراضي من قبل الحكومات التي تسعى للموارد، والكسب المادي، والنفوذ السياسي في العالم وليس أي عقيدة دينية أو معتقدات سياسية إسلامية. أو عندما يقال لأبنائنا بأن الحل لوقف إراقة الدماء في سوريا، وفلسطين، أو كشمير هو عن طريق الأمم المتحدة، فإنه ينبغي إرشادهم إلى السؤال عن أصل الأمم المتحدة، والمصالح التي تخدمها حقا، وما هي نسبة نجاح المجتمع الدولي فيما يتعلق بحماية أرواح المسلمين وحقوقهم. وفي أعقاب ذلك، ينبغي عرض وجهة النظر الإسلامية وحلولها لهذه المشاكل، بحيث يصبحون قادرين على الفهم بوضوح بأن وجهة النظر هذه فقط يمكنها تقديم إجابات ذات مصداقية لهذه القضايا - على سبيل المثال، فقط دولة تخدم بإخلاص مصالح الإسلام والأمة: دولة الخلافة على منهاج النبوة لديها القدرة والإرادة السياسية لحشد جيشها لتحرير البلاد الإسلامية المحتلة وحماية أرواح المظلومين.

بناء طريقة التفكير النقدي في أبنائنا يتطلب منهم أيضا فهم قدرات وحدود العقل البشري. فيجب عليهم أن يدركوا قدرة وحصة الإنسان من المنطق البشري ومتى يمكن استخدامه عند التفكير في بعض الأمور ومتى لا يمكن بسبب القيود الفطرية فيه. وهذا سيضمن تطبيقهم التفكير بشكل مناسب على القضايا. على سبيل المثال، فإن العقل البشري ينبغي أن يستخدم لتحديد حقيقة ما إذا كان هناك وجود للخالق أو إذا كان القرآن هو كلام الله أو ما هو نوع النظام الأفضل لحكم الناس أو الحقيقة وراء الأحداث السياسية، وما إلى ذلك. وهذا لأنه لديه القدرة على فحص الحقائق والأدلة المطلوبة لإيجاد استنتاجات لهذه القضايا. وهذا هو ما يسمى بعقل المعرفة لأنه من المنطق البشري.

بينما عند اتخاذ قرار بالحكم على عمل ما بكونه عملاً جيداً أو سيئاً، أو على قانون بكونه عادلاً أو جائراً، أو إذا كان هناك حياة بعد الموت، فإن العقل البشري لا يملك القدرة الفطرية لإصدار أحكام على هذه الأشياء بشكل مباشر وموضوعي. وذلك لأنه من تلقاء نفسه لا يستطيع الوصول إلى هذه الحقائق والبراهين ذات الصلة المطلوبة لإصدار استنتاجات سليمة حول هذه الأمور. وبالتالي فإن أي رأي سيصوغه سيكون شخصياً أو على أساس التخمين. شبابنا بحاجة إلى فهم أنه لإثبات الحق في هذه القضايا، فإنهم بحاجة إلى الرجوع إلى الأدلة التي تنتقل من مصدر ثبتت سلامة وصحة أصوله، دون أدنى شك بالاستخدام الصحيح للمنطق البشري. هذا المصدر هو القرآن الكريم - وهو ممن لديه كل العلم والمعرفة بهذه المسائل لأنه خلق للإنسان وجميع المخلوقات، وبالتالي فهو يعلم تماما طبيعته وما هو الخير والشر بالنسبة له. وهذا ما يسمى بالنقل أو نقل المعرفة لأن هذه المعلومات يتم نقلها من مصدر موثوق.

رعاية طريقة التفكير النقدي لدى الشباب المسلم من خلال تشجيعهم وإرشادهم إلى إصدار الأحكام على أساس براهين قوية واضحة والأدلة المناسبة هو خطوة أساسية في بناء القناعة في الأفكار والآراء الإسلامية وترسيخ العقلية الإسلامية إلى جانب السلوك الإسلامي التي تشكل الشخصية الإسلامية. وهذه هي الطريقة لبناء أبنائنا لئلا يصبحوا أولئك الذين لديهم مجرد معلومات إسلامية وإنما أولئك الذين يتبنون المفاهيم الإسلامية باعتبارها ملكا لهم، فضلا عن أولئك المفكرين المستقلين الذين يبحثون باستمرار عن الحقيقة، بدلا من الاتباع الأعمى للآخرين. وهذا هو السبيل إلى خلق شباب مسلم ليس لديه شكوك في الأفكار والآراء الإسلامية وبالتالي واثق في دينه والأحكام التي يصدرها على الواقع.

إذا لم يتم بناء هذا المدخل المهم لدراسة وتقييم المعلومات، فإن الأفكار والمعارف الإسلامية قد تكون مجرد واحدة من العديد من مصادر المعلومات في ذهن الطفل، وربما لن تؤثر على وجهة نظره تجاه القضايا أو السلوك في الحياة. علاوة على ذلك، فإن بناء الطريقة الصحيحة للتفكير في أبناء المسلمين ينبغي أن يشمل دائما توجيههم للتفكير في التطبيق الصحيح لمفاهيم الحياة بحيث لا يبقى الفكر الإسلامي كموضوع أكاديمي في أذهانهم بل مطبقا في حياتهم.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
الدكتورة نسرين نواز
مديرة القسم النسائي
في المكتب الإعلامي المركزي
لحزب التحرير

التعليم في العالم العربي...
صورة قاتمة تندر فيها الألوان المبهجة!

يعيش التعليم في العالم العربي حالة مأساوية، ويعاني أزمة خانقة، صحيح أنه لا يمكن التعامل مع الدول العربية جميعاً بنفس الطريقة من حيث بحث وتحليل الواقع التعليمي فيها، نظراً للخصوصية التي تحملها كل دولة وارتباطها بأحداثها الداخلية من ثورات وحروب وصراعات وغيرها من الأحداث التي أثرت على التعليم كما أثرت على غيره من القطاعات، ولكن رغم هذا الاختلاف فإن حال التعليم في العالم العربي يكاد يكون واحداً، ومشاكله مشتركة.

فتدني جودة التعليم مشكلة يعاني منها العالم العربي بتفاوت بسيط بين دوله، فقد حصلت هذه الدول على مراتب متدنية في مؤشر جودة التعليم الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي لعام ٢٠١٥-٢٠١٦م، فعلى سبيل المثال جاءت البحرين في المركز ٣٣ والأردن في المرتبة ٤٥، أما تونس فجاءت في المركز ٨٤ عالميا، فيما احتلت المغرب المرتبة ١٠١ ثم الجزائر في المركز ١١٩ وموريتانيا في المركز ١٢٩، بينما احتلت مصر المرتبة قبل الأخيرة على مستوى ١٤٠ دولة شملها التقرير.

ويرجع هذا التدني في جودة التعليم إلى عوامل عدة أهمها مناهج التعليم وأساليبه القائمة على التلقين والحفظ دون التحليل والفهم، وغياب المواد التي تنمي الحس النقدي والتفكير لدى الطلبة، ونستحضر هنا ما قالته إحدى الأمهات المصريات المشاركات في ما أطلق عليه «ثورة الأمهات ضد المناهج»: «المناهج الحالية لم تنتج لا علماً ولا تطوراً حقيقياً في عقليات الأبناء بقدر ما أصابت الأولاد بانحناء في الظهر من ثقل الكتب في الحقائب المدرسية»، ولا ننسى أيضاً سياسات التعليم الفاشلة كالترفيع التلقائي للطلبة، ومن هذه العوامل أيضاً أن الميزانيات المخصصة للتعليم في العالم العربي لا تزال غير كافية وبعيدة عن التكافؤ مع الميزانيات المخصصة للقطاعات الأخرى، فعلى سبيل المثال أكد تقرير دولي صادر عن مرصد الحقوق الاجتماعية والاقتصادية تراجع الإنفاق الحكومي على التعليم في الأردن منذ العام ٢٠٠٠ وحتى الآن، حيث إن الإنفاق الحكومي كان يصل إلى نحو ١٣٪ في ذلك العام لينخفض إلى زهاء ٩٪ العام ٢٠١٠. إضافة إلى عدم اهتمام هذه الدول بالبحث العلمي، فهو قياسا بالناتج المحلي الإجمالي يقل عن ٠,٨٪ في المغرب وتونس، وعن ٠,٥٪ في مصر والأردن، وعن ٠,٢٪ في السعودية والجزائر والعراق والكويت.

وبعد أن عجزت الدولة عن توفير تعليم جيد بفرص متساوية لجميع الناس بسبب الفساد وسوء التخطيط طفا التعليم الخاص الذي يصب في مصلحة الاستثمار لا الجودة.

وقد دفع تدني جودة التعليم وغياب الرعاية والاهتمام بالمبدعين والمتفوقين من الدولة، إضافة إلى عدم توفر فرص عمل للخريجين، دفع العديد من الطلاب إلى الهجرة إلى الدول الغربية، لطلب العلم أو للعمل بعد التخرج، وقد أظهرت بعض الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية ومنظمة اليونيسكو والبنك الدولي أن العالم العربي يساهم في ثلث هِجرة الكفاءات من البلدان النامية، وأن ٥٠٪ من الأطباء، و٢٣٪من المُهندسين، و١٥٪من مجموع الكفاءات العربية المُتَخَرِجَة يهاجِرون متوجِهين إلى أوروبا والولايات المُتحِدة وكندا، وذكرت تقارير أن ٥٤٪ من الطلاب العرب، الذين يدرسون في الخارج، لا يعودون إلى بلدانهم، وتأتي مصر في مقدمة الدول المصدرة للعقول إلى الخارج خاصة كندا والولايات المتحدة وألمانيا، وطبقا لبيانات اتحاد المصريين بالخارج، فإن تعداد علماء وأكاديميي مصر المقيمين بالخارج، يبلغ حوالي ٨٦ ألف عالم وأكاديمي، منهم

١٨٨٣ في تخصصات نووية نادرة، كما يضمون ٤٢ رئيس جامعة حول العالم.

ومن مشاكل التعليم في العالم العربي والتي أثرت على جودته أيضاً تعيين معلمين غير مؤهلين وليس لديهم كفاءة لتدريس الطلبة ولا سيما في الصفوف الدنيا التي يتعلم فيها الطالب المهارات الأساسية من قراءة وكتابة وحساب، أو يتم إجبار معلمين على تدريس مواد غير تخصصهم الجامعي، ففي تقريرها السنوي حول التعليم لعام ٢٠١٤ قالت اليونسكو إن ٤٣ ٪ من الأطفال في الدول العربية يفتقرون إلى المبادئ الأساسية للتعليم بسبب تردي قدرات المعلمين وافتقارهم للتدريب المناسب لأداء وظيفتهم. ومن جانب آخر فإن المعلم العربي مثقل بتكاليف الحياة التي لا يعينه ما يتقاضاه من راتب على أدائها، حتى إن بعض المعلمين اضطر لممارسة عمل إضافي لا يتناسب ومهنته لسد هذه التكاليف، كما أنه مثقل بجداول التدريس المزدحمة وبمطالب الوزارة التي لا تنتهي من خطط ووسائل ونشاطات وعدم توفر الإمكانات والوسائل التي تعينه على أداء وظيفته، أضف إلى ذلك قلة الاحترام وتراجع مكانة المعلم مما أثر على أدائه وإنتاجيته كما يرى الباحثون.

ولا يمكننا الحديث عن التعليم في العالم العربي دون الحديث عن المدارس وضعف بنيتها التحتية، حيث لا يتوفر في بعض المناطق عدد كاف من المدارس مما يجعل المدارس تداوم فترتين صباحية ومسائية، فمثلاً ٨٠ ٪ من إجمالي المدارس في قطاع غزة تداوم على فترتين حسبما أوضح د. علي خليفة مدير عام الإدارة العامة للتعليم، إضافة إلى مشكلة عدم توفر مدارس، فإن بعض المدارس تفتقر للغرف الصفية الكافية، مما نتج عنه اكتظاظ الصفوف الدراسية مما أثر على فهم الطلبة واستيعابهم للمواد الدراسية بسبب الفوضى وكبر العدد، كما أن ذلك أثر على أداء المعلم، فعلى سبيل المثال وصل تعداد التلاميذ في الصف الواحد في بعض المدارس المصرية إلى ١٢٠ طالباً وفق ما نشره موقع بي بي سي، وفي غالبية المدارس اليمنية، يحتضن الصف الدراسي الواحد من ٩٠ إلى ١٢٠ طالبا، ووصل العدد إلى ٥٠ طالباً في بعض مدارس الأردن ولا سيما في العقبة. والنقص ليس فقط في الغرف الصفية بل أيضاً في المرافق التابعة للمدرسة من ساحات ومكتبات ومختبرات العلوم والحاسوب، وتعاني بعض المدارس من عدم توفر مستويات معقولة من النظافة والتدفئة والتبريد والتهوية وكذلك عدم توفر عدد كاف من الوحدات الصحية ودورات المياه. بل الأدهى والأمر أن تكون بنية هذه المدارس متآكلة وأن تتسرب منها المياه في الشتاء إلى الصفوف، وذلك كما حصل في عدد من المدارس الابتدائية والإعدادية في ولاية المستنير في تونس خلال شهر كانون الأول/ديسمبر لعام ٢٠١٦، حيث تعطلت الدراسة تماما بالمدرسة الإعدادية «الامتياز» بسبب وجود بركة مياه أمام المدرسة فلم يتمكن التلاميذ من الدخول. كما تعطلت الدروس بـ»المدرسة الابتدائية طريق القيروان» حيث غمرت مياه الأمطار ٦ قاعات وتسربت المياه أيضا من سقف قاعتين. وأضاف المندوب أن الدروس تعطلت بالمدرسة الإعدادية «سالم بشير» بعد أن تسربت المياه إلى عدة قاعات.

ويعد التسرب من المدارس أحد المشاكل التي يعاني منها التعليم في العالم العربي، فحسب إحصائية أصدرتها الأمم المتحدة عام ٢٠١٥، فإن حوالي ٢١ مليون طفل في العالم العربي تسربوا من التعليم أو يواجهون خطر التسرب من التعليم، ولهذا التسرب أسباب عدة من أهمها تدني التحصيل الدراسي للطلبة وصعوبات التعلم، وكذلك العامل الاقتصادي واضطرار هؤلاء الطلاب لترك المدرسة للعمل ومساعدة أهلهم في توفير متطلبات الحياة خاصة إذا توفي الوالد أو كان مريضاً غير قادر على العمل.

ومن المشاكل الرئيسية أيضاً والتي يعاني منها التعليم في العالم العربي الأمية، فوفقا لتقديرات صادرة عن اليونسكو فإن واحداً من كل خمسة بالغين يعاني من الأمية في العالم العربي، وحسب التقرير فإن موريتانيا فيها النسبة الأعلى من الأمية في العالم العربي، وفي المغرب لا يزال ١٠ ملايين شخص يعانون من آفة الأمية. ويشير آخر إحصاء للسكان إلى أن عدد سكان المغرب يقارب ٣٤ مليونا، ما يعني أن قرابة ثلث السكان أميون. وتعاني نصف المغربيات فوق سن ١٥ سنة من الأمية. أما في مصر، فربع السكان البالغين يعانون من الأمية. كما أكدت المنظمة في تقرير لها أن نحو ٤٣٪ من الأطفال في الدول العربية يفتقرون إلى المبادئ الأساسية للتعليم. ووفقا للتقرير، فإن طفلا من بين كل أربعة أطفال في الدول الفقيرة، وبينها دول عربية، لا يستطيع قراءة جملة واحدة.

كانت هذه صورة مختصرة عن حال التعليم في العالم العربي، وكانت هذه أبرز ما يعانيه من مشاكل، إضافة إلى مشاكل أخرى ناتجة عن خصوصية كل بلد، كتدمير المدارس واستهداف المعلمين والطلبة وتهجيرهم من بلادهم في البلاد التي تشهد حروباً وصراعات كسوريا والعراق واليمن، وكالصعوبات التي يواجهها الطلاب والمعلمون في فلسطين في سبيل الوصول إلى المدارس نتيجة الحواجز التي يضعها كيان يهود، وغيرها من المشاكل التي لا يتسع المقام لذكرها.

ويبقى السؤال: ما هو السبيل لتحسين هذا الحال والنهوض بالتعليم في العالم العربي؟!

يدعو البعض إلى استيراد نماذج تعليمية رائدة عالمياً وتطبيقها في بلادنا للنهوض بالتعليم، وقد بدأت بعض مدارس الإمارات تطبيق النموذج الفنلندي، كما سعت مصر لتطبيق النموذج السنغافوري تارة ثم عادت ووقعت اتفاقيات لتطبيق النموذج الياباني في مدارسها، ولكن هذا الخيار لم يكن ناجحاً، إذ كيف لنا أن نأتي بنبتة من موطنها الأصلي ونزرعها في موطن آخر لا تتوفر فيه ظروف مناسبة لها ونتوقع منها أن تنمو وتعيش؟! فسياسة التعليم والمناهج الدراسية في هذه البلاد نابعة من المبدأ الذي تحمله، وكذلك هيكلية نظام التعليم والنجاح والرسوب وطريقة التدريس المتبعة عندهم تختلف عما هو معمول به عندنا، وأبسط العوامل التي تؤدي إلى فشل تطبيق هذه التجربة، هو أن هذه الدول تجعل التعليم من أولوياتها وتقوم برعاية المتعلمين، وتوفر البنية التحتية والمقومات اللازمة لنجاح العملية التعليمية، وهو أمر نفتقده في بلادنا، حيث تدفع هذه الدول للمعلمين رواتب مجزية تكفيهم مؤونة الحياة وتجعلهم يتفرغون للتدريس ويبدعون فيه، وتعقد دورات تأهيلية منتظمة للمعلمين لتجديد مؤهلاتهم وتطوير قدراتهم المهنية، كما توفر بنية تحتية مساعدة ومحفزة للمعلم والمتعلم من حيث المباني والمرافق التابعة لها من المختبرات والمكتبات وتوفر الأدوات والوسائل التكنولوجية اللازمة من حواسيب وألواح ذكية وشاشات عرض حتى إن اليابان أدخلت الروبوت إلى مدارسها.

إن تغيير الصورة القاتمة للتعليم في العالم العربي والنهوض به وتحسين جودته عالمياً، يكون من خلال سياسة تعليمية ناجعة تليق بأبناء الأمة بصفتها أمة إسلامية، سياسة لا تنظر للمؤسسات التعليمية على اعتبار أنها مؤسسات ربحية تدر مالاً على الدولة، بل تنظر لها على أنها مؤسسات مهمتها صناعة الأجيال وصياغة الأفكار. وهذا لن يتحقق إلا إذا توفر القرار السياسي الصحيح من دولة مبدئية ترعى شؤون الرعية في جميع شؤون الحياة وليس فقط في قطاع التعليم، وهذه الدولة هي دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة القادمة قريباً بعون الله.

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
أختكم براءة مناصرة

كيف يجب أن يكون المعلم في الإسلام؟!

نتج عن غزو الكفار الفكري لديار المسلمين أن تهدَّمت الأخلاق الإسلامية، وعمَّ الانحلال الأخلاقي باسم الحرية والديمقراطية وغير ذلك من الأسماء الرنانة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، وهدفها إفساد الشباب وتوجيه وهدر طاقاته فيما لا ينفع. لذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد مسلم، كل حسب دوره وعمله واستطاعته ليساهم في نهضة أمته لترتفع إلى العلوّ وإلى قيادة العالم كما كانت. ومن أهم هذه الأدوار دور المعلّم، وريث دعوة الأنبياء، المربّي، وصانع جيل المستقبل، وصاحب التأثير الكبير في حياتنا وحياة أبنائنا وتوجهاتهم وسلوكهم وحتى ميولهم وتطلعاتهم، وحامل الأمانة العظيمة والتي إن حملها بما يرضي الله تعالى كانت له نوراً وإلا، كانت له ناراً، فما أشرفها من رسالة وما أعظمه من دور! أوليس رسولنا ﷺ هو المعلم الأول؟ يقول الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] ويعظّم الغزالي مهنة التعليم فيقول «من عَلِمَ وعَلَّمَ فهو الذي يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات»... هذا الدور الذي عمل أعداء الإسلام بوسائل عديدة وخبيثة على سلبه منه لأهميته وتأثيره على أجيال كاملة في بناء شخصياتهم وميولهم على أساس العقيدة الإسلامية، ولإفراغ هذا الجيل وجعله مائعاً مسخاً كارها لتاريخ أمته، ظانًا أن الإسلام سبب تخلف الأمة وضعفها وذلّها...

فيا أيها المعلم، هل سألت نفسك يوماً لِمَ أصبحت معلماً؟ لم اخترت هذا الطريق لحياتك؟ فمعرفة هذا بصدق وصراحة يحدد لك صفاتك وأسلوب تعاملك ونهجك في هذا الطريق. فلو نظرنا حولنا لوجدنا أطيافا من المعلمين:

فهذا معلّم ينظر للتعليم باعتباره الوظيفة الوحيدة المتاحة أمامه، لم يقصدها رغبةً ولا حرصًا، بل هي فقط مجرد وظيفة وسبب للتكسُّب والارتزاق، ولو كان يستطيع امتهان وظيفة أخرى غيرها تُحقّق له مكاسب أكبر أو مثلها دون تحمل مشاق التعليم لقصدها... ومعلم ثان يشكو دهره ويندب حظّه، بسبب أعباء التدريس المرهِقة وقلة الراتب مقارنة مع أقرانه الذين اختاروا أعمالاً أخرى غير التعليم... وثالث جلُّ همّه إكمال المقرَّرات والفراغ من تدريسها، ولا يربطها بالواقع والعقيدة والإيمان والأخلاق ويعمّقهم في طلابه وسلوكياتهم ومفاهيمهم، ولا يلتفت إلى ما يجري خارج قاعة الدرس رغم ما يراه من فساد دون أن يفكر حتى بإنكاره أمام طلابه، فهو فعليا منفصلٌ تماماً عن واقع طلابه ومجتمعه وأمته... ورابع وخامس وسادس من الصور السلبية التي تزدحم بها حياتنا التعليمية والتي كان لها الأثر السيئ والعميق في مؤسَّسات المجتمع المتنوعة. فأيّ تفوّق وإبداع وأي إخلاص يُرجى ممّن هذه هي حالهم وتطلعاتهم!!

إذن، ما هي صفات المعلم الذي يستحق أن ينطبق عليه حديث رسول الله ﷺ «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جِحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِمِي النَّاسِ الخَيْرَ**» (رواه الترمذي)؟! ما هي صفات المعلم صاحب الرسالة التي تقارب رسالة الأنبياء ممن قال عنهم رسول الله ﷺ عن ابنِ مَسْعودٍ رضيَ الله «**لا حَسَدَ إلاَّ في اثنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاه اللَّهُ مَالاً فسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ ورَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقضِي بِها ويُعَلِّمُها**».

أول هذه الصفات هي تقوى الله والإخلاص له، فعلى المعلم أن يتحرّى بعلمه وإتقانه تعليمه وجه الله تعالى والدار الآخرة، وليس فقط الراتب والثناء من رؤسائه والشهرة والترقية وما شابه. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا**». فعليه أن يقصد تعليم طلابه وتهذيبهم لما فيه خير الأمة والإسلام. يقول الإمام النووي «ويجب على الْمُعلِّم أن يقصد بتعليمه وجه الله لِما سبق، وألاَّ يجعله وسيلة إلى غرضٍ دنيوي، فيستحضر الْمُعلِّم في ذهنه كون التعليم آكد العبادات، ليكون ذلك حاثًّا له على تصحيح النية، ومُحرِّضًا له على صيانته من مُكدِّراته ومن مكروهاته، مخافة فوات هذا الفضل العظيم والخير الجسيم». فبغياب الإخلاص والتقوى يحلّ الرياء والتكاسل والإهمال، فيخرج شباب ضحل الثقافة ضعيف العقيدة، غير واعين ولا مدركين قضايا أمتهم، مشكلين عبئا عليها بدل أن يكونوا مِعولا في بناء نهضتها. فمفهوم أن المعلم سيأخذ الراتب في نهاية الشهر سواء أخلص لله أم لم يخلص، لهي ضربة قاصمة في صميم التربية والتعليم، فأين الإخلاص؟ وأين الله وتقواه؟ وطبعا يجب على المعلم أن يكون متمكّنا من المادة العلمية التي

يدرسها، حاذقا لأساليب توصيله العلم لطلابه.

ومن أهم صفات المعلم الصبر والحلم وطول البال، فعلى المعلم المربّي الذي يريد إخراج جيلٍ يتبع منهاج وعقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله أن يكون صبورا حليما حتى يستطيع التحمل، فخُلق الصَّبر والتحمُّل له الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالصبر حتى في أعسر المواقف. وإن طول البال وسعة الصدر ضرورية ومهمة خصوصا كلما تذكر المعلم أن أجره محفوظ عند الله وأن هؤلاء النشء أمانة في عنقه. وعليه أن يدرك أن الطلاب لهم قدرات مختلفة وذوو أمزجة مختلفة، وذوو حاجات ومصالح ومشاكل وهموم مختلفة، فهو لهم معلم ومربٍّ وأب ينبغي أن يتّسع قلبه لهم، ويرفق بهم ويرحمهم، ويعطف عليهم، ويصبر على معاناة تعليمهم وتوضيح الأفكار لهم بمختلف قدراتهم وحاجاتهم ونفسياتهم وعقولهم، فمنهم من يفهم العبارة والدرس من أول شرحٍ لها، ومنهم من يحتاج إلى إعادة وتكرارٍ وشرح وتفصيلٍ. ورسولنا ﷺ يقول: «**إن الله لم يبعثني معنّتاً ولا متعنّتاً ولكن بعثني معلماً وميسراً**».

لكن نرى بعض المعلمين هداهم الله لا يملكون من الصبر والرحمة شيئاً، فمجرد أن يُغضبه الطالب أو لا يفهم أمرا أو يسأل عنه تراه يغضب ويثور بدل أن يحلم ويصبر ويتحمل. وقد يحصل أحياناً أن يتعرض لتصرفاتٍ أو كلامٍ به أذى من بعض الطلاب أو شيء من هذا القبيل فلا بد أيضا أن يتحمل ويصبر ويحتسب، ويمتص غضبهم واستفساراتهم وحتى ضجرهم أحيانا، ونذكر حين دخل معاوية بن الحكم رضي الله عنه في الصلاة مع الجماعة ولم يعلم أن الكلام قد حرُم في الصلاة، فعطس أحد الصحابة فشمته، فنبهه بعض الصحابة بالإشارة فلم يفهم واستمر في كلامه، فلما انتهت الصلاة ناداه رسول الله ﷺ فأتى إليه خائفا، فقال له رسول الله ﷺ بكل لطف ولين: «**أن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتحميد وقراءة القرآن**»، فقال معاوية معلقا على فعل رسول الله ﷺ: بأبي هو وأمي، ما رأيت أحسن تعليما ولا أرفق منه ﷺ. فهذا الصبر والرفق من رسول الله ﷺ القدوة والمعلّم وما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات كلها تعليم.

وكذلك من الصفات التي يجب أن يتحلى بها المعلم الصدق والوفاء بالوعد فيما يدعو الله إليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فإذا وعد المعلم الطلاب بوعد معين فلا بد أن يفي بما وعد أو أن يعتذر لهم حتى يكون صادقاً أمامهم فيما يطلب منهم أن يفعلوا أو فيما يطلب منهم أن يتركوا ونحو ذلك. وكذلك عليه أن يكون متخلّقا بخلق التواضع، روى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «تعلّموا العلم، وعلّموه للناس، وتعلّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلّمتم منه، ولمن علّمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم». وهو مُعلِّم ومتعلم في الوقت نفسه، فلا عجب ولا غرابة أن يستفيد الْمُعلِّم من طلابه في بعض مسائل العلم، بل أن يتراجع عن خطأٍ له وقع فيه، أو يقول لهم: «لا أدري»، و«الله أعلم» فيما خفي عليه ولم يعرفه، فهذا يجعله كبيراً في نفوسهم، ويتعلّمون منه التواضع، وعدم الجرأة على الفتيا بغير علم.

نعلم أن الإسلام دين عدل ومساواة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، فليس في الإسلام طبقية، ولا يُكرم الغني لغناه ولا يُذَلُّ الفقير لفقره. والطلاب هم رعية والمسئول الأول عنها هو الْمُعلِّم عملاً بحديث رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»، فهم سواسية فلا يفاضل في معاملتهم حسب مكانة أهلهم أو حسبهم أو نسبهم أو مالهم... والعدل في المعاملة لم تكن تغيب عن علمائنا الأوائل، فتوارثوا توصية المعلم به، وتحذيره من خلافه. رُوي عن مجاهد بن جبر التابعي الكبير وتلميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «معلم الصبيان إذ لم يعدل بينهم جاء يوم القيامة مع الظَّلَمة»، وقال ابن سحنون في «ما جاء في العدل بين الصبيان»، «وليجعلهم بالسواء في التعليم، الشريف والوضيع، وإلا كان خائنًا». وليس مثلما نرى في معاملة البعض اليوم لطلابهم يفرقون بين الطلاب، فيتجاوزون عن خطأ وفساد بعض الطلاب ممن أهلهم في موقع السلطة أو الغنى ويعطونهم حقا ليس لهم وعلى حساب غيرهم ممن يستحقونه. بينما في الإسلام حرص الخلفاء أن يعامل المعلمون أبناءهم كما يعاملون غيرهم، فها هو الخليفة هارون الرشيد في الوصية التي أرسلها إلى الكسائي مؤدب ابنه ومن ضمن ما جاء فيها: «... وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلسه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أبى فعليك بالشدة والغلظة».

إن المعلم الجادّ المخلص لا تقف مهمّته ودوره عند حدّ ما يُقدّمه في الصف، بل دوره الأهم هو قوة تأثيره في طلابه ومجتمعه، في قول الحق والوقوف معه، ولننظر في تاريخ معلّمينا وعلمائنا وأئمتنا الذين حملوا العلم وعلّموه عقيدة وعلماً وعملاً ومنهجاً ودعوة، فها هو الإمام أحمد المعلم والذي ضرب أروع الأمثلة في الثبات على المبدأ والصبر أمام الفتن، لقد أوذي وسجن، وضرب وأهين، فلم تلِن له قناة، ولم يتزحزح عن حقٍ يراه ولو كلفه حياته، وهذه دروسٌ للعلماء والمعلمين والدعاة في كل زمانٍ ومكان. وها هي العالمة المعلّمة أم الدرداء الصغرى والتي كان يستدعيها عبد الملك بن مروان لتعلم نساءه، سمعته في مرة يلعن خادمه لأنه أبطأ عليه في أمر، فقالت له: سمعت أبا الدرداء يقول، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يكون اللّعانون شفعاء ولا شهداء، يوم القيامة**»، قالت ذلك له ولم تخش في الحق لومة لائم ولم يمنعها كونه الخليفة من قول الحق، ولم تقل ليس لي علاقة بالأمر أو ليس هذا من شأني مثلما يفعل عدد من علماء ومعلمي هذا الزمان، ولم تقف موقف المتفرج غير العامِل مثل المعلمين الذين يقفون موقفا سلبيا مما يرونه الآن من تغريب في سياسة التعليم وتغيير في المناهج، فحتى لو كانوا لا يستطيعون التغيير في نُظم التعليم والمناهج - تلك السموم التي يضعونها لأبنائنا وبناتنا بين طيات الكتب ودفّاته - إلا أنَّ ذلك لا يعفيهم من واجبهم في إنكارها وتخفيف أضرارها بإعطاء الفكرة الصحيحة التي تنقضها من أساسها فهذا واجبهم كمربين مسلمين، خاصة ونحن نعيش النظام الرأسمالي بكل ما يحمله من مفاهيم بعيدة عن أحكام الإسلام عاملين فيه على هدم العقيدة الإسلامية ونشر الفساد والعلمانية والحريات والديمقراطية وغيرها من المفاهيم الرأسمالية العفنة في نفوس أبنائنا، فيجب عليهم إظهار هذا الفساد ومحاربة تلك الأفكار وتبيان زيفها وخطرها. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم بالخشية». فعليهم تعليمهم أسلوب التفكير الإسلامي الصحيح وعدم الرضا بما لا يُرضي الشرع، والصدع بالحق وعدم المداهنة والنفاق فيه... أن يزرعوا في نفوسهم أن الأجل والرزق بيد الله وحده فلا يخافون في الله لومة لائم، ولا يتعلمون الخوف والجبن...

ولكن للأسف وفي ظل الأنظمة الفاسدة التي تتحكم بالتعليم وبالمعلمين فإنها تحرص يوما بعد يوم على تعيين معلمين علمانيّي الفكر، يعتبرون الحضارة الغربية ومفاهيمها مثلهم الأعلى، وأن المنفعة والمصلحة أساس العلاقات، فتراهم مخلصين لتلك السياسة في التعليم والمناهج ويعطونها كما يريد واضعوها، بل ومن المعلمين من يكون على رأي القائلين ملكيا أكثر من الملكيين ويجاهد في إدخال هذه الأفكار في عقول طلبته بكل الطرق والوسائل في ذلك وكأنه سيأخذ نيشاناً منهم على إخلاصه في ذلك، ناسياً أو متناسياً خطورة هذا الأمر وعقابه عند رب العباد، حيث إنه لم يكتفِ بعدم إظهار ذلك الفساد بل وأيضاً يشجع عليه بتشجيعه تلك المناهج

والأفكار المسمومة... ولا يقوم بدوره الحقيقي في الصدع بالحق.

وإن من أهم الأدوار التي يقوم بها الْمُعلِّم هو بناء شخصيات طلابه، أولئك الذين ينظرون إليه على أنه مثلهم الأعلى... ولهذا على المعلم أن يكون قدوة صالحة لطلابه، فإن القدوة الصالحة تُعتبر من أنجح الوسائل المؤثّرة في تكوين شخصية المتعلّم... قدوة في جوهره ومظهره، في شخصيته وقوة تأثيره، في أخلاقه وأدبه، فها هي أم الإمام مالك توصي ابنها بأن يطلب الأدب من معلمه قبل أن يأخذ العلم منه لما للأدب من أهمية على طالب العلم في سلوكه مع نفسه ومع ربه ومع الناس... فإنه لما طلب العلم وذكر لأمه أنه يريد أن يذهب فيكتب العلم، ألبسته أحسن الثياب، وعمَّمَته، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن. وقال رحمه الله: كانت أمي تعمّمني وتقول لي «اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه». فالمعلم الذي يتحدّث لطلابه عن أضرار التدخين مثلا، والسيجارة في يده!.. أو الذي يحثّ طلابه على الصدق والالتزام بالمواعيد وأهمية الوفاء بها، ثم يكذب أو يحضر إلى الصف متأخرًا، أو يعد بما لا ينفّذ، أو يسكت ويجبن وينافق في موقف يتطلب الجرأة في الحق، فإنه يمحو بتصرف واحد عشرات الأقوال التي يصبُّها في آذانهم...

إذن، المعلم ليس خازنا للعلم يغترف منه التلاميذ المعارف والمعلومات، ولكنه نموذج وقدوة... والقدوة عامل مهم في صلاح المتعلم أو فساده، فإن كان المربي صادقاً أمينًا كريماً شجاعًا عفيفاً يتَّسم بالخُلق الصالح نشأ المتعلّم على الصدق والأمانة والخُلق والكرم والشجاعة والعفة... وإن كان المربِّي كاذباً خائناً منافقاً جباناً نذلاً، نشأ المتعلّم على هذه الصفات والأخلاق. فمقام المعلم وموقعه ودوره جدُّ خطير، فلينظر كل معلم كم يُصلح من الناس وكم يُفسد! كم يؤثر إيجاباً وكم يؤثر سلباً! فالتعليم بالقدوة أعظم تأثيراً وأقوى حُجة من الكلام النظريّ المجرد، فكيف إذا كان الفعل يُخالف القول والسلوك يعاكس التوجيه؟!... وقد نعى القرآن الكريم على بني إسرائيل ذلك في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

نخلص من هذا أن للمعلم دوراً ومكانة عالية مهمّة... ولا يجب أن يكون بمعزلٍ عن الأمة والمجتمع، بل يجب أن يكون له كما قلنا سابقا تأثير، فهو عالم عامل، قارئ مجاهد، آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر، صادع بالحق... وسأذكر هنا قصة عن امرأة عالمة معلمة لنرى منها قوة تأثير العالم المعلّم حتى على الحكام، يُحترم ويُهاب جانبه، وهي قصة للسيدة نفيسة بنت الحسن التي كان لها أثر علمي في فقه عالمين كبيرين من أئمة المسلمين، وهما الشافعي وأحمد بن حنبل، ففي أحد الأيام وهي في مصر حيث عاشت، حدث أن قبض أعوان أحد الأمراء على رجل من العامة ليعذبوه. فبينما هو سائر معهم، مرّ بدار السيدة نفيسة فصاح مستجيراً بها. فدعت له بالخلاص قائلة: «حجب الله عنك أبصار الظالمين». ولما وصلوا بالرجل بين يدي الأمير، قالوا له: إنه مرّ بالسيدة نفيسة فاستجار بها وسألها الدعاء فدعت له بخلاصه، فقال الأمير: «أوَبلغ من ظلمي هذا يا رب، إني تائب إليك وأستغفرك». وصرف الأمير الرجل، ثم جمع ماله وتصدق ببعضه على الفقراء والمساكين.

وقيل أنه لما ظلم أحمد بن طولون، استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها. فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد. فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون. فلما رآها عرفها فترجّل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأ ما فيها: «ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخُوّلتم ففسقتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نفاذة غير مخطئة لا سيّما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنّا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»! يقول القرماني: فعدل من بعدها ابن طولون لوقته! فرفع المظالم عن الناس... وهذا ما يجب أن يعرفه الجميع، أن المعلم له تأثير ودور وهيبة ومكانة ضاعت مثلما ضاع الكثير عندما ضاعت هيبة الإسلام بعد هدم دولته، ولن تعود إلا بعودتها وعودة الإسلام عزيزا مُهابا كما كان، وما ذلك على الله بعزيز...

وأختم بهذه الوصية التي قالها علي رضي الله عنه لكميل بن زياد النخعي الذي قال: «أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجُبَّان، فلما أصحرنا - أي نزلنا إلى الصحراء - جلس ثم تنفس ثم قال يا كُميل بن زياد، القُلُوبُ أوعيةٌ؛ فَخَيْرُها أوْعاها، احْفَظْ ما أقولُ لَكَ، النَّاسُ ثلاثةٌ: فَعالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلى سَبيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ، أتْباعُ كلِّ ناعِقٍ، يَميلونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَم يَسْتَضِيئوا بِنُورِ العِلمِ ولم يَلجَأوا إلى رُكنٍ وَثِيقٍ. العِلمُ خَيرٌ من المالِ، العِلْمُ يَحْرُسُكَ وأنْتَ تَحرُسُ المالَ، العلمُ يَزْكو على العَمَلِ، والمالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، العلمُ حَاكِمٌ، والمالُ مَحكُومٌ عَلَيْه، وصَنيعَةُ المالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ، ومَحَبَّةُ العالِمِ دِيْنٌ يُدانُ بها. مَاتَ خُزَّانُ الأموالِ وَهمُ أَحْيَاءٌ، والعلماءُ بَاقُونَ مَا بَقِي الدَّهْرُ، أعْيَانهم مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُم في القُلُوبِ مَوجُودَةٌ»...

اللهم أعزّنا بالإسلام وأعزّ الإسلام بنا...

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
مسلمة الشامي (أم صهيب)

روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال:

«تعلَّموا العلم، وعلِّموه للناس، وتعلَّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلَّمتم منه، ولمن علَّمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم»

حق المرأة في التعليم:
بين الواقع المظلم والخطابات الرنانة

يبدو أن عام ٢٠٣٠ سيكون حافلاً بتغييرات جذرية مرتقبة، حسب رؤية الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة، فهو العام الموعود الذي تتحقق فيه رؤية الأمم المتحدة «تحويل عالمنا: جدول أعمال ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة» التي أطلقت في أيلول/سبتمبر العام الماضي، ومن ضمنها القضاء على الفقر بجميع أشكاله وتحقيق المساواة بين الجنسين. وتتضمن ١٧ هدفاً منها التعليم الجيد.
«اليوم، ومع إطلاق إطار العمل الخاص بالتعليم حتى عام ٢٠٣٠، وافقت حكومات عبر العالم على كيفية تجسيد وعد للتغيير على أرض الواقع». بهذه الكلمات افتتحت المديرة العامة للمنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو، إيرينا بوكوفا، الاجتماع الذي عُقد على هامش فعاليات الدورة الثامنة والثلاثين للمؤتمر العام لليونسكو في ٤ تشرين الثاني/نوفمبر الماضي.

لا شكَّ أن البشرية اليوم، تحتاج حقاً إلى من ينقذها من براثن الجهل والتجهيل، فملايين الأطفال محرومون من التعليم في أنحاء العالم بسبب الفقر والحروب والسياسات الحكومية الفاشلة. وذلك حسب تقارير الأمم المتحدة على مدى السنوات الأخيرة. حيث إن واحداً من بين كل ثلاثة أطفال خارج المدرسة يعيش في دولة متأثرة بنزاع. وفي ٣٥ دولة تصنف على أنها الدول الأكثر تأثراً بالعنف، يتعرض ٦٥ مليون طفل بين سن ٣ و١٥ عاماً إلى خطر خسارة فرصة التعليم. وبحسب البيانات الواردة في التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع في تموز/يوليو ٢٠١٥، يزيد احتمال ترك الشابات اليافعات في المناطق المتأثرة بنزاعات للمدرسة في المرحلة الثانوية بنسبة ٩٠٪ مقارنة مع نظيراتهن في الدول الأخرى.

رغم كثرة الإحصائيات والتحذيرات بشأن انتشار حرمان الأطفال من التعليم، والدعوات لإصلاح أنظمة التعليم، وبذل مزيد من الجهود لأجل توفير التعليم الأساسي على الأقل، للمحرومين في مناطق النزاع والمناطق النائية التي تعاني الفقر، إلا أن هذه الدعوات تبقى مجرد طاحون هواء لا تنتج. فلا أنظمة التعليم تحسنت، ولا الفقراء استطاعوا تعليم أبنائهم وبناتهم. بل تزداد الحروب ويزداد حرمان الفتيات والصبية من حقهم في التعليم في مناطق كثيرة نتيجة الحروب التي تغذيها وتشنها الدول الاستعمارية الكبرى، ويزداد الفقراء فقراً، ولا يظل إلا صدى شعارات حقوق المرأة والطفل في التعليم.

فالرأسمالية بكل منظماتها لم تنتج سوى الجهل والدمار. فهذا أنتوني ليك المدير التنفيذي لمنظمة اليونيسيف يقول في مقال له بعنوان: «جيل ضائع من الأطفال المحرومين من التعليم»: «على الرغم من أن أعداد الأطفال المتأثرين بالنزاعات وصلت إلى مستويات غير مسبوقة، فإن تمويل التعليم في حالات الطوارئ يبقى متدنياً للغاية. ففي سنة ٢٠١٣ خصص أقل من ٢٪ فقط من المساعدات التي قدمت لحالات الطوارئ لصالح فرص التعليم والتعلم». وشهد شاهد من أهلها!

لكن المثير للشفقة أن الأمم المتحدة لا تيأس! فعشرات السنوات منذ ظهور المبدأ الرأسمالي، وألوف الفتيات المحرومات من التعليم، لم تكن كافية لتُريهم أن سياساتهم فاشلة ولا تحقق ربع الأهداف التي تُرسم في كل اجتماع جديد، ولا تساوي قيمتها الحبر الذي كُتبت به. آلاف الدراسات من أخصائيي تربية، ومنظمات حقوقية ومتنفذين في سلك التعليم عن ضرورة تعليم الفتيات وما يحققه تعليم النساء من ازدهار وتنمية اقتصادية. لكنَّ الكلام شيءٌ والفعل شيءٌ آخر. فكل الرؤى المتعلقة بتعليم المرأة تنبع من بوتقة النظرة المادية، وفشل

المنظرون في أطروحتهم المسماة «think out of the box» أو التفكير خارج الصندوق؛ فكل حلولهم مستقاة من نظريات المساواة التامة بين الجنسين العقيمة، وكأن المساواة هي مصباح علاء الدين الذي بمجرد مسحه سيخلص كل نساء العالم من الفقر والحرمان من الحقوق الأساسية والتهميش والمهانة التي عانين منها في قرن ويزيد من الزمان.

يقوم البنك الدولي، ومنظمات الأمم المتحدة المختلفة كاليونسكو واليونيسيف وغيرها بدراسات دورية كل سنة عن أعداد المحرومات من التعليم من النساء، وتُعقد الاجتماعات، وتسن القوانين واللوائح والتشريعات لأجل إعطاء المرأة حقها في التعليم. لكن الحديث كلّه يدور حول تأكيدات على وجوب تعليم النساء، وليس على كيفية توفير فرص التعليم. وصل الإنسان للقمر ولا تزال الاجتماعات تناقش حق التعليم للمرأة، وإذا ما صدر قرار لخطوة جديدة في مسيرة الألف ميل، تصبح رأياً بعد عين لا تغادر ملفات الاجتماع.

وهذا كلامهم بألسنتهم يدينهم: «في الأول من كانون الثاني/يناير عام ٢٠٠٦، استفاق العالم على موعد نهائي قد فات. فقد بقي هدف التنمية الألفية: التعادل بين الجنسين في التعليم الأساسي والثانوي بحلول نهاية عام ٢٠٠٥، من دون أن يتحقق. ما يبعث على الإحباط هو أن ذلك الموعد النهائي كان هدفاً واقعياً يمكن تحقيقه. وتكمن مأساةُ هذا الفشل في العدد الذي لا يمكن تخيله من الأطفال، وغالبيتهم من الفتيات، ممن تركوا لمواجهة مستقبلٍ غامض» من تقرير اليونيسف (٢٠٠٥) حول منجزات النوع الاجتماعي وآفاق التعليم: تقرير الفجوة [الجزء الأول]، نيويورك: اليونيسف، ص٤. ويقدم تقرير برنامج «التقدم من أجل الأطفال» تحليلاً مقارناً لكل منطقة، موضحاً أن أعظم الإنجازات في معدل الزيادات السنوية في المشاركة المدرسية في السنوات العشرين الماضية تحققت في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بزيادة بلغت ١,٤ للأولاد و ١,٢ للفتيات.

تُعلي الرأسمالية من القيمة المادية، بل تكاد تكون هي القيمة الوحيدة في المبدأ والمسيرة لعقول أهله. فجُلُّ المعاملات تقوم على المنفعة والمصلحة، وحتى الجمعيات الخيرية وُجدت لأجل إزاحة العبء المادي عن الدولة. وهكذا تسيطر النظرة النفعية على المبدأ والقائمين عليه. وليس التعليم إلا جزءاً من هذه المنظومة وتتأثر النظرة له بالنظرة النفعية. فحرص الرأسماليين على المرأة وتعليمها نابع من ضرورة مساهمتها في الدخل القومي! حيث «وجدت الدراسات التي قام بها البنك الدولي بوجه إجمالي، أن سنة واحدة إضافية من التعليم الابتدائي أعلى من المتوسط يرفع معدل الأجر النهائي للفرد بنسبة ٥-١٥٪، مع تحقيق عائدات بصورة عامة للفتيات أعلى من الفتيان. وأن سنة واحدة إضافية من التعليم الثانوي إلى أعلى من المتوسط يرفع معدل الأجر النهائي للفرد بنسبة ١٥-٢٥٪، أعلى للفتيات من الفتيان.» تي. بول شولتز. ٢٠٠٢. «لماذا ينبغي على الحكومات أن تستثمر أكثر في تعليم الفتيات.» التنمية العالمية ٣٠. كما ذكر تقرير أبحاث السياسة للبنك الدولي عن المساواة بين الجنسين والتنمية، أن «زيادة عدد النساء اللواتي يحصلن على التعليم الثانوي تنمي معدل الدخل الفردي». وبعد هذا تُطرح على الساحة قضية تعليم المرأة في الإسلام وتهميش الإسلام للمرأة وظلمه لها، باستغلال بعض المعتقدات والعادات الخاطئة التي يمارسها المسلمون، وذلك رغم غياب دولة الخلافة التي تطبق الإسلام على أرض الواقع. ويتم تجاهل الواقع المزري الذي تعيشه المرأة في ظل الرأسمالية حيث مئات من الفتيات محرومات من التعليم، ويتم تجاهل إهمال الأنظمة بحق شعوبها وعدم وجود بنى تحتية وتمويل كافٍ ليُسلَّط الضوء على زواج القاصرات أو تعدد الزوجات كمنطلق لمحاربة أحكام الإسلام.

إنَّ كلَّ الجهود المبذولة لأجل توفير فرص أكثر لتعليم النساء حول العالم لا تصب إلى في خانة إدانة الغرب، وإظهار عورته وسوأة الرأسماليين الذين يهدرون الوقت في التنظير بينما في كل لحظة هناك ألوف من النساء يخسرن فرصاً جديدة في الحصول على تعليم جيد. وذلك بسبب السياسات العقيمة التي تنفذها الدول الغربية والقائمة على شيطنة الآخر وفرض النظرة الغربية. فهذه نجاة بلقاسم، وزيرة التربية والتعليم والتعليم العالي والبحث في فرنسا، فإنها قالت، في افتتاح الجلسة في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي: «إن الاقتناع الذي تسترشد بها سياساتنا إنما يتمثل في أن أوجه عدم المساواة ليست أمراً محتوماً. أما المسؤولية الملقاة على عاتقنا فهي أن نسعى لكي لا تشكل خلفية الطلبة عائقاً أمام آفاق تعليمهم وفرصهم المستقبلية». كما أنها أبرزت أهمية التعليم من أجل تحقيق المواطنة العالمية، مشيرةً إلى الدور الأساسي للمدارس في مكافحة التطرف وتعزيز القيم الخاصة بالحرية والتسامح وعدم التمييز. هذا في الوقت الذي تحارب فيه بلادها المسلمات وتفرض عليهن الاختيار بين الحق في التعليم أو التمسك بشعائر العقيدة الإسلامية!

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
بيان جمال

مترجم

نظام التعليم الباكستاني الفاسد يدمر مستقبل أبنائه

تعاني جودة التعليم في باكستان من التدهور والانحدار بشكل مستمر. فعدد طلاب المدارس الابتدائية الذين لا يستطيعون القراءة والكتابة يبلغ تقريبًا النصف. ورداءة جودة نظام التعليم هي أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى الفشل في مكافحة الفقر، وهي تعكس خيانة الحكام للأمانة تحت شعار ما يسمى أجندتهم القومية. فتقارير مؤسسة «ألف إعلان» الخاصة بترتيب المناطق التعليمية الباكستانية لعام ٢٠١٥، والحالة السنوية لتقرير التعليم لعام ٢٠١٤، ومكتب الإحصاء الباكستاني، ومقياس مستوى الحياة الاجتماعية والمعيشة في باكستان ٢٠١٢ - ٢٠١٣، وأكاديمية التخطيط التربوي وإدارة ونظام إدارة معلومات التعليم الوطني ٢٠١٣ - ٢٠١٤، إن كل تقارير هذه المؤسسات تقدم صورة قاتمة حتى في أكثر المدن تحضرًا حيث يدعي البعض أن هناك ما يسمى تعليمًا جيدًا، والذي يفترض أن يكون ممتازًا. فتبلغ نسبة الطلاب غير القادرين على قراءة وكتابة جمل بسيطة في مثل هذه المدن على النحو التالي: نحو ٤١ في المئة في لاهور، و٤٥ في المئة في كراتشي، و٥٠ في المئة في إسلام آباد، و٣٠ في المئة من طلاب المرحلة الابتدائية في روالبندي. ووفقًا لتقرير في عام ٢٠١٦ تتوفر فقط في ٥٢٪ من المدارس في باكستان، الذي يبلغ عددها ١٥٤١٤٤ مدرسة، العناصر الأساسية الأربعة للبنية التحتية - الجدران والكهرباء والمياه والمراحيض - بينما لا تملك ١١٪ من المدارس أيًا من المرافق الأساسية الأربعة.

إن انخفاض مستوى الاستثمار العام بشكل كبير هو السبب الرئيسي لضعف أداء قطاع التعليم في باكستان. فقد فشلت الحكومة في باكستان، منذ نشأتها، في إدراك أهمية هذه القضية. وقد ثبت أن كل ما يسمى الجهود على مدى السنوات الـ ٧٠ الماضية أنها جهود عقيمة، وهذا الفشل يشير إلى فساد أساس النظام العلماني الرأسمالي الباكستاني. وقد عُقد مؤتمر التعليم الأول في كراتشي ومن ثم دعا إليه الحاكم الجنرال محمد علي جنة. وعلى الرغم من أنه أعلن عن عدد من السياسات وشكل العديد من اللجان، إلا أنه قد فشل، وألقي باللوم على عدد المهاجرين والمشاكل الإدارية الأخرى التي تعاني منها البلاد حديثة النشأة في ذلك الوقت، وقد واصل النظام الذي وضعه الاستعمار البريطاني في حكم البلاد. ومنذ ذلك الوقت تم الإعلان عن عدد من السياسات، إلا أنها قد فشلت في تحقيق وعودها. فقد تم الإعلان عن سياسات في هذا الشأن في عام ١٩٥٩، ١٩٧٠، ١٩٧٢، ١٩٧٩، ١٩٩٢، ١٩٩٨ و٢٠٠٩، إلا أن هذه السياسات قد طبقت نفس الحلول ولكن من خلال إعادة صياغتها بكلمات مختلفة وحمّلت الأوضاع السياسية المختلفة مسؤولية الفشل السابق. وقد نصت المادة (٢٥A) التي تم إقرارها في عام ٢٠١٠ بما يلي: «توفر الدولة التعليم المجاني والإلزامي لجميع الأطفال من سن ٥-١٦ سنة بطريقة يحددها القانون»، إلا أن هذا ما زال حلمًا!

وفي الإسلام، لا يعتبر التعليم فقط حقًا يتوجب على الدولة توفيره لجميع من يحمل تابعيتها - ذكورًا وإناثًا مسلمين وغير مسلمين - ولكن طلب العلم هو أيضًا واجب على كل مؤمن ومؤمنة، فقد روى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**».

والمفارقة هي أن إنفاق باكستان على تنمية التعليم قد بلغ في ميزانيتها لعام ٢٠١٥ – ٢٠١٦، ٩٦٩٠٣٩ مليون روبية، وهو ما يعادل ٢,٣٪ فقط من الناتج المحلي الإجمالي، بينما قد أقرت ميزانية أفغانستان المنكوبة بالحروب ٤٪، والهند ٧٪، وتنفق رواندا ٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي على التعليم.

إن وجود عدة أنظمة تعليم في البلاد يشكل دليلًا مهماً على أن الحكومة لا تكترث بتقديم نفس جودة التعليم وطبيعته لجميع رعاياها. وعلاوة على ذلك، فإن المدارس العامة والخاصة والإسلامية تعمل في ثلاثة اتجاهات مختلفة وتبني ثلاث عقليات مختلفة، مما يجعل الناس يفكرون بناء على أفكار ومفاهيم وعقليات مختلفة. فقصص المدارس العامة تشكل قصص رعب نتيجة النقص الحاد في المرافق، والمناهج التي عفا عليها الزمن، وسوء الإدارة. فقد أبرزت ورقة عمل حول التعليم من إصدار مؤسسة «يو أس أيد» في عام ٢٠١١ أن حوالي ٣٧٪ من المدارس الحكومية في باكستان لا تتوفر فيها مراحيض، وأن ٨٥٪ منها لا تتوفر فيها الكهرباء وأن نحو ٥٠٪ من هذه المدارس في المناطق الريفية تفتقر إلى مياه الشرب النظيفة. ووفقًا للبيانات التي نشرتها منظمة اليونسكو، فإن أكثر

الفصول الدراسية ازدحامًا في دول جنوب آسيا موجودة في باكستان وتبلغ نسبة أعداد الطلبة إلى أعداد المعلمين فيها نحو ٥٠٠ طالب لكل ثلاثة معلمين. فهذه الإحصائيات تبين بوضوح كيف جرى إهمال قطاع التعليم، ومن الواضح أن الحكام لا يكترثون إطلاقًا تجاه مسؤولياتهم لأن العمى قد أصابهم عندما باعوا نفوسهم لأعداء الله. يقول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [رواه البخاري].

وعلاوة على ذلك، فإن السلطات تستخدم قطاع التعليم لنهب الأموال بأكثر الطرق بشاعة - مثل المدارس الوهمية، والتي تؤثر في الغالب على المناطق الواقعة في إقليمي السند وبلوشستان. فقد كشف وزير التعليم في بلوشستان، عبد الرحيم زياراتوال، عن واقع مخيف خلال جلسة جمعية بلوشستان، فقال: «تم الكشف عن ٩٠٠ مدرسة وهمية وقد تسجل فيها ٣٠٠٠٠٠ طالب وهمي، ومن بين ٦٠٠٠٠ معلم مسجل، يوجد ١٥٠٠٠ معلم غير معروف». لقد دُفعت رواتب هؤلاء المعلمين «غير المعروفين» من أموال دافعي الضرائب وهم عادة من أصحاب العلاقات مع السياسيين المحليين، بينما يعمل الطلاب المسجلون الوهميون في هذه المدارس كعمال في حقول هؤلاء الإقطاعيين. فحجم المال الذي يتم كسبه من خلال وسائل الاحتيال هذه ضخم جدًا.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المدارس الإسلامية، وسيلة أخرى للتعليم، أصبحت تواجه غضب الحكومة بعد ٩/١١. وفي خطة العمل الوطنية التي بدأت في كانون الثاني/يناير عام ٢٠١٥، نص البندان ١٠ و١٨ على عزم الدولة تسجيل وتنظيم المدارس الإسلامية، والقضاء على ما يسمى (الإرهاب الطائفي). إلا أن الإجراء الوحيد التي اتخذته الحكومة بحق المدارس الإسلامية كان لتحقيق مصلحة سيدتها أمريكا عن طريق علمنة التعليم. في المقابل، فإن الحكومة لا تهتم على الإطلاق بنوعية ومستوى التعليم في المدارس الإسلامية والتي تشكل المصدر الوحيد للحصول على شيء من التعليم المجاني في باكستان بالنسبة للكثيرين.

وشيء آخر يؤثر على التعليم وهو نظام الامتحانات. فبدلًا من استخدام تقنيات كمية ونوعية للحكم على قدرات الطلاب، يجري الاعتماد في التعليم على تقنية عقيمة وهي الحفظ عن ظهر قلب. وتستخدم هذه التقنية في نظام الثانوية العامة، والسبب الوحيد لاختيارها هو أنها رخيصة وفي متناول الناس. وعلاوة على ذلك، فالتفكير العقلاني، الذي كان في السابق السمة المميزة للحضارة الإسلامية وكذلك العقول اللامعة لهذه الأمة، قد ذهب وجرى التخلي عنه.

وهذه العقول إما قد تمت التضحية بها على مذبح النظام التعليمي غير الموجود تقريبًا، أو أنه قد جرى انتزاعها من البلاد على شكل «هجرة الأدمغة». فالجامعات الأجنبية تتصيد فعليًا العقول اللامعة من باكستان بالتعاون مع المدارس الخاصة - لاستغلالها لصالح الدول الغربية وليس لصالح أهل باكستان أو بقية العالم الإسلامي.

أما بالنسبة لمدارس القطاع الخاص، فهي تتبع المنهاج الذي وضعته الحكومة ولكن مستوياتها الدراسية تتفاوت. فعلى سبيل المثال، تقوم مدارس النخبة الخاصة بإعداد طلابها للامتحانات الخارجية بينما تقوم غيرها من المدارس الخاصة بإعداد طلابها لامتحانات المجلس المحلي. ومدارس النخبة تتقاضى أموالًا أكثر بكثير من الخدمات التي تقدمها، ولكن إذا تمكن ولي الأمر من تحملها، فسيختارها ليوفر لأبنائه تعليمًا ذا جودة نوعًا ما. وحتى بعد إنفاق كل هذه الأموال يحتاج معظم أولياء الأمور إلى استخدام معلم خاص أو يقومون بإرسال أطفالهم إلى الأكاديميات التي ستضاعف كمية الوقت والأموال التي تنفق على التعليم. ومعدل دخل الفرد في باكستان يبلغ نحو ١٥١٣ دولارًا في السنة، بينما يبلغ معدل رسوم المدارس الخاصة ذات الترتيب العالي حوالي ٢٨٠٠ دولار في السنة حتى الصفوف المتوسطة، وبعد ذلك يصل إلى حوالي ٥٢٠٠ دولار للمدارس الثانوية. وعلاوة على ذلك، فإن تكلفة امتحانات «شهادة التعليم العامة» بمستوياتها المختلفة تعتبر منفصلة عن تكلفة التسجيل الإجمالية في هذه المدارس. وهذا التعليم يكفي فقط لمساعدتهم في الحصول على بعض المعلومات التي تتعلق بالمواد العلمية، ولكنه لا يمدهم بأي علم عن الحياة الآخرة وفرائض الإسلام لأنهم يفتقرون فعلًا للتعليم الصحيح للإسلام.

لقد صممت القوى الاستعمارية نظام التعليم للشعوب التي تحتلها لتغيير عقلياتها وعلمنتها. وهذا النظام الفاسد هو السبب الجذري لجميع مشاكل التعليم في بلادنا. إن الهدف من التعليم عند جميع الأمم هو تعلم كل التطورات الجديدة في العالم ولتحقيق النهضة ورفع مكانتها على مستوى العالم. فالإسلام يشجع دراسة العلوم وبناء المهارات والمعارف المتعلقة بالتطورات الجديدة، ولكنه يربط ذلك كله بالعقيدة الإسلامية. فهدف الإسلام من التعليم هو بناء الشخصية الإسلامية وتزويد الناس بالمعرفة المتعلقة بكافة شؤون الحياة. فجرى بناء أساليب التعليم لتحقيق هذا الهدف، ويمنع أي أسلوب يؤدي إلى أهداف أخرى. والتاريخ الإسلامي مليء بالتطور العلمي والديني والفلسفي والثقافي، وكان السبب في ذلك هو صدق حكام المسلمين في خدمة الإسلام. إنه من المؤسف أن تُصنف باكستان في المرتبة ١٣١ من أصل ١٤١ دولة في تقرير ٢٠١٥ لمؤشر الابتكار العالمي - الذي يقيس تأثير السياسات الموجه نحو الابتكار في مجالات النمو الاقتصادي والتنمية. وقد أعلنت وزارة العلوم والتكنولوجيا في تقرير عند سؤال الجمعية الوطنية أن أسباب التصنيف المتأخر للبلاد هي:

١. انخفاض نسبة الناتج المحلي الإجمالي للعلوم والتنمية.

٢. تدني معايير تعليم العلوم في مؤسساتنا التعليمية.

كما أنه لم يتم إعطاء اللغة العربية الاهتمام الذي يجب أن تحظى به ويليق بها، وهو ما أدى إلى إبعاد الشباب المسلم عن فهم القرآن، وتجاهلوا حقيقة أنها لم تكن فقط لغة الدين، بل كانت أيضًا لغة تربط المسلمين في كل مكان. فالمؤلفات العلمية في عصر الإسلام الذهبي تبدأ عادة بالآيات القرآنية التي تشجع طلبة العلم، وتدعو المسلمين للتفكير في العالم من حولهم. ولكن حكام باكستان المتعاقبين قد انتزعوا هذه المعرفة والعزة من الشباب المسلم. وتمضي هذه العقول الشابة زهرة حياتهم في رؤية آبائهم يكافحون من أجل تلبية احتياجاتهم وتوفير التعليم لهم؛ حتى إن هذا التعليم ليس تعليمًا جيدًا بما يكفي ليمكنهم من الحصول على وظيفة جيدة؛ التعليم الذي تلقوه في كثير من الأحيان على حساب طاعتهم لله سبحانه وتعالى.

ويجب علينا أن ندرك أن الحل والعلاج لكل هذا يكمن في تطبيق نظام تعليمي إسلامي في ظل دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة. وقد وضع حزب التحرير شرحًا تفصيليًا وشاملًا لهذا النظام التعليمي الإسلامي في مشروع دستوره لدولة الخلافة، الذي جاء في كتاب بعنوان «أسس التعليم المنهجي في دولة الخلافة» وفي غيره من الإصدارات. وهذا النظام الإسلامي هو الوحيد الذي يستطيع علاج كافة المشاكل التي يواجهها شباب اليوم لأنه يستند إلى أحكام الله سبحانه وتعالى وهو وحده القادر على تلبية احتياجات الشباب المسلم؛ الشباب الذين قد جرى تضليلهم عن قصد، وطُلب منهم اتباع الطرق المعوجة التي لن تجلب لحياتهم سوى المزيد من الضنك، وبالتأكيد لن تساعدهم في الآخرة.

فدولة الخلافة على منهاج النبوة وحدها التي ستضمن تطبيق هذا النظام تطبيقًا حقيقيًا. وعندها فقط سنتمكن من إدراك القوة الحقيقية للعلوم والمعارف. وستطبق وتعلم الإدراك الفكري الذي يهدف إلى قولبة الشباب المسلم في شخصيات إسلامية منتجة لنشر نور الإسلام في جميع أنحاء العالم، والتي ستسيطر على جميع مجالات المعرفة على مستوى العالم، وهذا بالتأكيد سيمهد الطريق نحو الجنة؛ غاية كل مسلم. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ»..؟

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
إخلاق جيهان

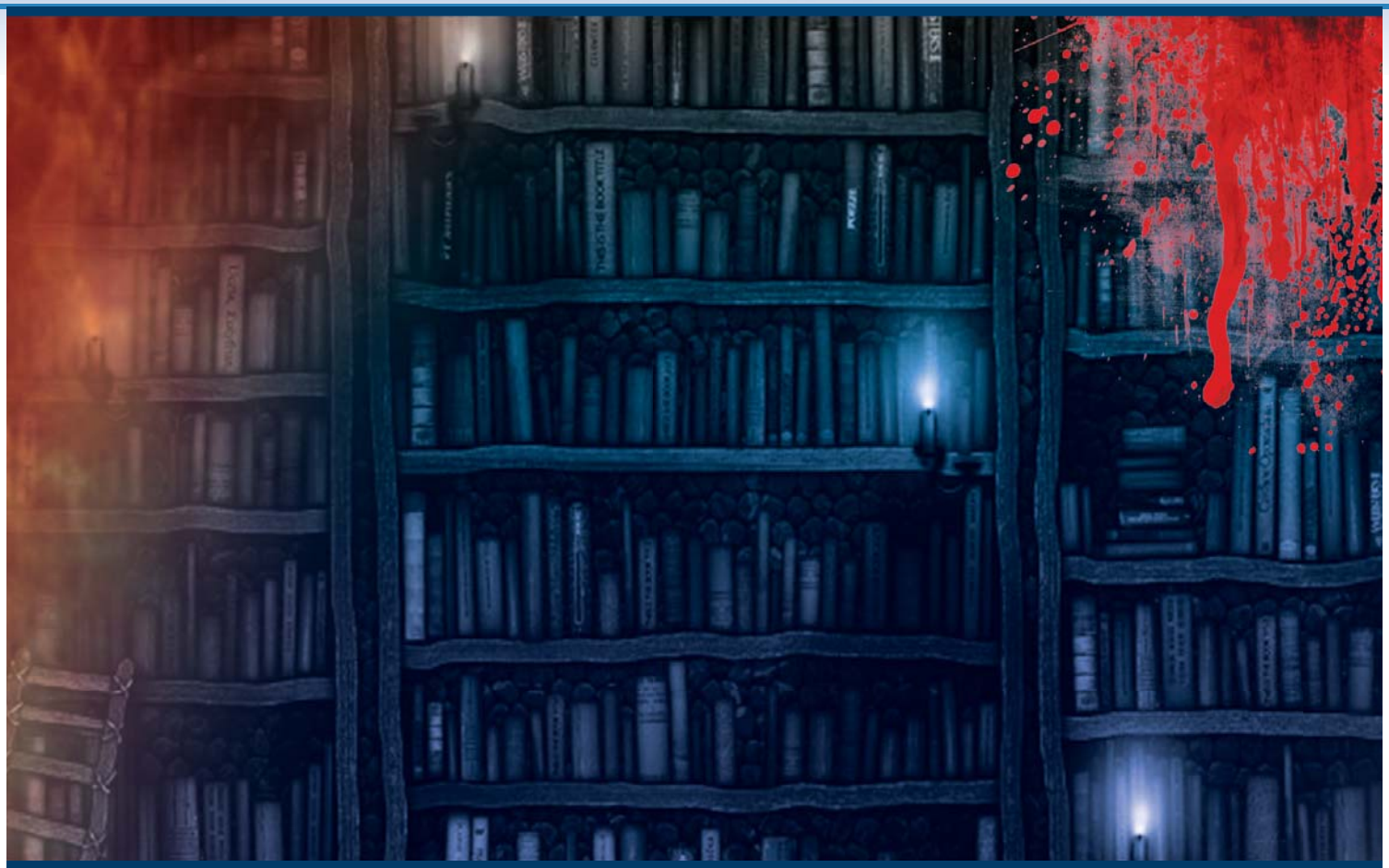

ما قيمة التعليم إذا غاب الأمن وامتزج الكتاب بالدم؟!

إن العلم بحر واسع وعميق المدى، مهما أبحر الإنسان وغاص في أعماقه فإنه لن يستطيع أن يدرك منه الكثير، فالإنسان مهما كانت مكانته العلمية فإنه لم يؤت من العلم إلاَّ القليل، لقوله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. لقد جعل اللّه التعليم من الأمور المطلوبة على كل إنسان، وجعل العلماء أفضل من الجهلاء، فالهدف الأسمى للتعليم هو الهدف الديني في المقام الأول، وكل ما عداه خادم وتابع لهذا العلم. إن المتعلم بأمور الدين والدنيا هو عكس الجاهل الذي يكون عرضة للأوهام والخرافات التي تحرفه عن أمور دينه، وأيضاً لا يحسن التصرف في أمور دنياه، فيكون تبعا للمتعلم وللعالم والمبدع، بينما يبقى هو في آخر الركب مقلداً غير نافع لنفسه ولا لغيره.

من هنا تأتي أهمية التعليم وضرورة الأخذ بنواصي العلوم والمعرفة. فكما للتعليم وسائله وأساليبه للاكتساب والتحصيل وأيضاً لنشره بين أفراد المجتمع، وكما له نتائج عديدة كإضاءة طريق الأجيال ليروا العالم بعيون مستبصرة، فبسبب هذه الوسائل والنتائج أصبح من المهم أن تسعى الدول للحفاظ عليه وتأمينه لجميع أفراد المجتمع دون أي تمييز مناطقي (الريف- المدينة) أو جنسي (ذكر-أنثى)، وأهم شيء على الدولة تأمينه هو الأمن، فهو من أول مطالب الإنسان في حياته، حيث يُعتبر ضرورة لكل جهد بشري فردي أو جماعي، لتحقيق المصالح العامة للجميع، قال رسولنا الكريم «**مَنْ أَصبح مِنكُمْ آمِناً في سِرْبِهِ، مُعَافىً في جَسدِه، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحذافِيرِها**».

إن الأمن نعمة من أجلّ نعم اللّه عز وجل على عباده، فهي مطلب كل أمة وغاية كل دولة، فمن أجلها جُندت الجنود ورصدت الأموال وفي سبيل تحقيقها قامت الثورات والصراعات. وقد أشار القرآن الكريم إلى دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه أن يرزق مكة الأمن والطمأنينة حين أودع فيها زوجه وفلذة كبده، فقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾. فقدّم عليه السلام نعمة الأمن على نعمة الطعام والغذاء، فما قيمة الغذاء إذا لم يتوفر الأمن؟ لو كان للغذاء دون الأمن قيمة كانت المساعدات الإنسانية التي يرسلها حكامنا لذر الرماد في عيوننا، كانت غيرت حال ٢ مليون من أطفال اليمن الذين يعانون من سوء التغذية، ولما كانت المجاعة قد لاحت بالأفق في جنوب السودان، ولما دقت منظمة الفاو ناقوس الخطر إزاء سوء التغذية الذي يهدد أكثر من ١٦ مليون طفل دون سن الخامسة في دول غرب أفريقيا، فبغياب الأمن تغيب كل مقومات الحياة الكريمة.

وما قيمة التعليم أيضاً إذا غاب الأمن وامتزج الكتاب بالدم؟ هذا ما يحصل في معظم مناطق العالم الإسلامي، في سوريا والعراق واليمن وليبيا وغيرها من البلاد الإسلامية حيث الصراعات والنزاعات المتأججة باستمرار. قالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) "إن ما

يُقدر بنحو ٥٣٥ مليون طفل، أي ما يعادل واحداً من كل ٤ أطفال في العالم يعيشون في مناطق متضررة من النزاعات أو الكوارث، ولا يستطيعون في كثير من الأحيان الحصول على الرعاية الصحية أو التعليم أو الغذاء أو الحماية مما يجعلهم عرضة للأمراض والعنف". وأضافت أن أكثر من ٣٩٠ مليون طفل من المتضررين من تلك الأوضاع يعيشون في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، بينما يعاني نحو ٦٥ مليون طفل من أزمات في الشرق الأوسط.

وبناء على هذه الإحصائيات الصادمة وبعد تعمق بدراسة أحوال هذه البلاد ومقدراتها، نرى بأن مجمل هؤلاء الأطفال يعيشون في مناطق النزاعات والصراعات التي تقع تحت سيطرة نفوذ الدول الكبرى المستعمرة، هذه الدول التي، وبحجة تحقيق أمنهم وأمن شعوبهم، تشن الحروب وتُحدث القلاقل والاضطرابات لتحقيق مصالحها المادية التي لا تقوم لها قائمة إلّا على حساب دماء الأبرياء واضطهادهم وتشريدهم، لأنها مصالح تقوم على مبدأ يخالف القيم الإنسانية بغايته الاستعمارية.

منذ سنوات والدول الكبرى قد أعلنت فتح جبهاتها العسكرية في العديد من بلاد المسلمين خاصة بعد ثورات الربيع العربي، وذلك لإعادة إحكام قبضتها من جديد على الأمة الإسلامية وإرادتها في التغيير. وما زالت رحى هذه الحروب تدور حاصدة البشر والحجر والشجر، وخاصة في سوريا والعراق واليمن وليبيا، ففي تقرير لليونيسيف الأخير، أشار أن ٢,٤ مليون طفل في سوريا، و٣ ملايين طفل في العراق ومليوني طفل في ليبيا، إضافة إلى ٢,٩ مليون في اليمن لا يرتادون المدارس.

وبحسب هذا التقرير فإن أكثر من ١٣ مليون طفل في منطقة الشرق الأوسط أي حوالي ٤٠٪ من أطفال المنطقة لا يرتادون المدارس بسبب الصراعات المتأججة في بلادهم. هذا بالإضافة إلى أوضاع اللاجئين في دول الجوار التي لجأوا إليها بحثاً عما فقدوه في بلادهم من أمن وأمان وعيش كريم، والذي لم يجدوه بسبب غياب البنية التحتية لمختلف القطاعات في هذه الدول من اقتصادية واجتماعية وتعليمية، مما أدى إلى ارتفاع نسبة الأمية وبالتالي انتشار الجهل والفقر والبطالة والعنف والاستغلال. فبحسب تقارير هيومن رايتس ووتش فإن ٢١٢ ألف طفل من سوريا من أصل ٧٠٨ آلاف في عمر التعليم تسجلوا في مدارس تركية في العام الدراسي ٢٠١٤-٢٠١٥، بينما لجأ الكثير من الأطفال إلى التسول أو العمل بشكل غير شرعي بأجور زهيدة. وقد بلغ عدد الأطفال اللاجئين من سوريا والذين لم يرتادوا المدارس في دول الجوار بسبب عدم القدرة على تحمل عبء طلاب إضافيين، أكثر من ٧٠٠ ألف طفل لاجئ.

إن عدم توفر الأمن وازدياد وتيرة القتل والاستهداف المتعمد للمدارس وبشكل متكرر يجعل من التعليم معضلة صعبة يصعب تحقيقه وتأمينه، فبحسب منظمة يونيسف فإن هناك نحو ٨٨٥٠ مدرسة في سوريا والعراق واليمن وليبيا قد دُمرت أو تضررت بحيث لا يمكن استخدامها لأنها إما تحولّت لمأوى للعائلات الهاربة والمشردة، وإما أنها احتلت من قبل أطراف النزاع. ولقد كشفت إحصائيات وزارة التعليم العراقية عن احتياج العراق لتأسيس حوالي ١٠ آلاف مدرسة لاستيعاب الزيادة المطّردة في عدد الطلاب. ووفق إحصائيات وزارة التعليم اللبنانية أيضاً فإن المدارس في لبنان هذا العام لم تستطع استيعاب أكثر من ٢٠٠ ألف طفل لاجئ. وأما في ليبيا فالمدارس تعاني من الأعداد المتقاطرة من التلاميذ مما أدى إلى ازدحام الفصول الدراسية والتي قد تصل إلى خمسين تلميذاً وأكثر لعدم صيانة المدارس المتضررة جراء الحرب في مختلف المدن الليبية، ولتزايد حركة النزوح الداخلية، إذ قدّرت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين أن هناك حوالي ٢١٨٠٠٠ نازح داخلي في ليبيا.

لقد فقد الطلاب بمختلف فئاتهم العمرية فرصهم في التعليم بسبب النزاعات والحروب، والتي في ظل استمرارها نرى أن قطاع التعليم كما غيره من القطاعات يعاني الكثير من المشكلات والأزمات الكبيرة، حيث أثرت هذه الحروب سلباً على التعليم وكيفية تأمينه للجميع، إذ يتم استقطاب المتسربين من التعليم من جانب التنظيمات والمليشيات المقاتلة، وعادة ما يكون المقابل المادي هو الدافع لاستقطاب الأطفال لصفوفهم بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية. ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة واشنطن بوست في أيار/مايو ٢٠١٥ فإن الأطفال يشكلون حوالي ثلث عدد قوات الحوثيين التي تضم ٢٦ ألف مقاتل، وعدد معسكرات تدريب الأطفال على القتال في سوريا والعراق يتجاوز ١٤ معسكرا. هذا بالإضافة إلى تضرر الكادر التعليمي جراء هروب البعض أو اعتقال البعض الآخر، ففي اليمن أشارت التقارير إلى مقتل أكثر من ٤٠ معلماً في تعز وجرح العشرات بالإضافة إلى تشريد الآلاف منهم، وفي سوريا ترك ما لا يقل عن ٢٥٥٠٠ معلم و٥٢٣ مستشاراً تعليمياً عملهم في المناطق الأكثر احتداماً، وفضلوا اللجوء إلى دول الجوار أو النزوح داخلياً للمناطق التي يسيطر عليها النظام لضمان الحصول على رواتب منتظمة تتراوح بين ٢٠٠ و٤٥٠ دولاراً شهرياً.

بسبب إطالة أمد الصراع إلى ما لا نهاية، تتضمن تداعيات تردي أوضاع التعليم في العالم الإسلامي تهديدات مباشرة في مستقبل جيل بكامله، فبغياب وانعدام التعليم ينشأ جيل بلا هوية، يُقاد وفق سلطة وسياسة القوي، تابع بكل مقوماته (الفكرية والثقافية والتربوية) لمن أفقده الإبداع والتميز والحياة بكرامة. وهذا ما يصبو إليه أعداء الإسلام، وهذا ما يؤكده استهدافهم المتكرر والممنهج لأجيال المستقبل وللمدارس خاصة في سوريا، فيدك جدرانها فوق رؤوس الأطفال الذين دأبوا على الدراسة والتعليم رغم الظروف الصعبة وأجواء الخوف والرعب المسيطر بفعل الطائرات الصليبية الاستعمارية التي تصول وتجول انتقاماً من المناطق التي طالبت بتغيير النظام ورفعت شعار الإسلام، وكأنما رسالة الإرادة والصمود التي أرسلها هؤلاء الأطفال الأباة أججت حقد الطغاة، ومفادها أننا جيل المستقبل ولن نهاب مدافعكم، فأمة اقرأ ستدك عروشكم ولو بعد حين.

فمن هو المسؤول الحالي عن حماية التعليم وأهله من تلاميذ وجامعيين ومبدعين، من البراميل المتفجرة والأسلحة الكيميائية وعمليات القنص والتجويع؟؟ ومن طائرات التحالف العربي والصليبي؟؟ ومن المليشيات والتنظيمات المسلحة؟؟ هذا السؤال يجب أن يطرح على من يدعون أنهم دول عظمى يقودون العالم، على من وضع القوانين الدولية، تلك القوانين التي تبقى حبرا على ورق أمام جرائمهم الوحشية بحجة حربهم الوهمية على (الإرهاب)، فحربهم إنما هي على الإسلام والمسلمين فقط لا غير.

لم تعد دعاوى نصرة الدول الضعيفة والحريات وحقوق الإنسان والسلام العالمي والعدل الدولي تنطلي على أحد، فكلها شعارات رنانة تغطي الأوجه القبيحة والقلوب السوداء، فعمَّ الظلم والظلام. ولكن بعد سواد الليل سينبلج الصبح بنوره وضيائه ليعم هذا النور ربوع الأرض، إنه نور الحق نور دولة الخلافة التي ستطبق حكم الله في الأرض، ليعم الأمن والأمان، ولتُخرج الناس من ظلمات الرأسمالية والغرب إلى نور الإسلام وعدالة القرآن، والتي ستواجه الحروب الاستعمارية بجيش الموحدين، قاهر الأعداء ومحرر الأرض وحافظ العرض للمسلمين وغير المسلمين...

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
رنا مصطفى

مترجم

المرأة والتعليم في ظل الخلافة العثمانية

كان تطبيق سياسات التحديث، بعد هدم الخلافة العثمانية، بشكل خاص يعتمد على أساس تحرير المرأة من براثن (التخلّف والرّجعية). وكان التعليم العلماني ونظامه التعليمي، الذي كان يُنظر إليه بأنه حديث ومعاصر، هو العامل الأساسي في بناء الأمم الحديثة ويتطلب إلغاء وتشويه الصورة الإيجابية لنمط الحياة الإسلامي السابق. وادّعت الدّول الديمقراطية العلمانية الجديدة في العالم الإسلامي مكافحة تجهيل المرأة من خلال تشويه سمعة مستوى المرأة التعليمي في الإسلام وخصوصًا تحت ظل الخلافة ووصفها، في ظل هذا النظام الإسلامي بالتالي: "أمهات جاهلات، شريك سطحي ومخدوع، اتّحاد زواج غير مستقر، عضو كسول وغير فعّال وغير منتج في المجتمع"، وبالرّغم من أنه خلال القرون الأولى من الخلافة العثمانية لم تكن النساء يتعلمن ضمن نظام مدرسي مُمنهج ومبني من قبل الدولة - الذي لم يكن أيضًا موجوداً للرجال - إلاّ أنّهن لم يُسلبن أو يُحرمن من الحصول على العلوم والمعارف أو متابعة التعليم أو من الحصول على المهارات الطبية أو من التفوق في مجالات تعليمية أخرى، على النقيض من ذلك، فإن البحث والسّعي وراء المعارف والثقافة والعلوم الإسلامية والعلمية - من الرجال والنساء على حد سواء - أمر يُثابون عليه بشكل كبير.

في ظلّ الخلافة العثمانية كان التعليم والتدريب للأطفال، بشكل أساسي، مُلقى على عاتق كبار السّن أو الآباء في العائلة. كان هيكل العائلة في ظل الخلافة العثمانية مبنيًا على القيم الإسلامية وغالبًا ما كان يعيش ثلاثة أجيال من العائلة مع بعضهم بعضاً. وفي مثل هذه الهيكلية كانت المعرفة والتعليم تنتقل في هذه الوحدة العائلية من الكبار إلى الصغار. ومن هنا، كان تعليم المرأة القراءة والكتابة والقرآن الكريم والمعارف الإسلامية الأساسية بالإضافة إلى الحِرَف وإدارة المنزل والآداب والسلوك تُوفر لها في البيت، وأيضًا فإن أية مهارات أخرى أو تدريبية احترافية تُعطى لهُنّ في المنزل.

لطالما نظر الإسلام إلى تعليم الإناث نظرة أهمية كُبرى. فقد كانت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وصحابيات الرسول ﷺ على سبيل المثال يُمثلن قدوة يُحتذى بها في جميع نواحي الحياة، السياسية والفقهية والطبية والأدب والشعر. بالإضافة لهذا فإن الإسلام قد أعطى المرأة الحق في العمل في مختلف المجالات بما فيها الطب. دعوى مرفوعة للخلافة العثمانية. المثال القادم يُوضّح وجود الطبيبات الإناث في ظل الخلافة العثمانية.

"في القرن الخامس عشر وصفت مخطوطة تركية خاصة بالجراحة تسمى تيشراهيتول هانية من سابونستش أوغلو، وصفت طبيبات إناث أجرين عمليات جراحية نسائية معقدة. كنّ يُسمين بالطبيبات.

وأشارت ملفات الأجور من سنة ١٧٩٨ - ١٧٩٩ لمستشفى الحريم في قصر توبكابي يسمى "كاريلير هاستانيسي، أشارت إلى توظيف طاقم صحي من الإناث مشابه لمستشفيات اليوم. وعالجت فيه طبيبة تدعى مريم كادين عائلة عبد الحميد في بداية القرن التاسع عشر. وكانت تتقاضى معاشًا شهريًا وتصريحاً مفتوحاً للدخول إلى الحريم.

الصيدلية الملكية في قصر يلديز وظّفت طبيبة أنثى تسمى الطبيبة جولبيياز هاتون وكان معاشها يبلغ ٢٠٠ akces عام ١٨٧٢م. كما وكانت هناك أيضا الطبيبة مورتي في مكتب الحجر الصحي. وقامت السيدة مونتاغو، زوجة السفير البريطاني عند الخلافة العثمانية، بذكر وجود طبيبات داخل الدولة يقمن بالتطعيم ضد الجدري وذلك في رسائلها عام ١٧١٧م. وكانت مجهزات الأدوية، ويسمين "حكيم كادين" يُدعون إلى القصر ويُعطين المعاشات وهدايا عيد الفطر وعيد الأضحى. وكانت تسمى الطبيبة التي تعالج الانتفاخ والإسهال عند

الأطفال بـ "كرباشي كادينلار"، وعالجت الأزبتشي كادينلار، مرضاً يسمى "الأز" (التهاب جلدي).

وأثبتت وثائق قانونية تعود لعام ١٦٢٢م أن طبيبتين كانتا تُجريان عمليات جراحية للرجال إحداهن كانت تُدعى - صالحة هاتون - والتي أجرت عمليات استئصال الأورام والفتاق على ٢١ رجلاً.

بالإضافة لهذا، من المعروف جيدًا أن العثمانيات لم يكنّ أميّات أو غير متعلمات كما يُدّعى دائمًا. العديد من النساء كُنّ يمتلكن في بيوتهن مكتبات خاصة. والكتاب الذي حاز على المكان الأول في بيوتهن كان القرآن الكريم. كما واحتوت مكتباتهن على كتب في السير للشخصيات الإسلامية البارزة والأدعية المأثورة والقصائد التي تتحدث عن النبي ﷺ، وكُتب التاريخ والأدب.

وكانت النساء اللواتي يعشن ويعملن في قصور الخلفاء يستطعن الحصول على مستوى عالٍ من التعليم. حريم قصر توبكوبي على سبيل المثال احتوت على مدرسة النُخبة للبنات والتي عُرفت داخل وخارج الدولة بالمستوى التعليمي العالي الذي قدمته للطالبات. بالإضافة لذلك كان بالمحيط القريب من القصر، حيث سكنت النساء اللواتي غادرن الحريم بعد الزواج، كان الناس يستطيعون الانتفاع من المعرفة والأخلاق وطريقة حياة النساء اللواتي اكتسبن الدرجة العالية من التعليم داخل القصر. وأيضًا فإن النّاس خارج القصور قدّموا لبناتهم التعليم في الأدب والرياضيات والتاريخ وحتى اللّغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية من خلال توظيف مدرسين خاصّين داخل بيوتهم بحسب قدراتهم المادّية.

وحقيقة أن التعليم لم يكن حكرًا على نساء القصور، يُثبت من خلال مذكّرات آخر معلمة في القصر صفيّة أونيوفر عن الوقت الذي أمضته في الحريم. صفية أونيوفر لم تتلق تعليمها داخل القصر، وكان السلطان رشاد قد عيّنها عام ١٩١٥م كمعلمة للبنات والنساء في الحريم. وقد علمتهن القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والقراءة والكتابة والحساب والهندسة واللياقة البدنية. كما وكتبت أونيوفر في مذكراتها أن جميع نساء الحريم كان لديهن مكتباتهن الخاصة في بيوتهن وكن يناقشن مع بعضهن الكتب التي كنّ يقرأنها، وكن مهتمات بالتاريخ بشكل كبير. إن مستوى التعليم الذي تلقته النساء في الحريم يمكن أن نفهمه بمثال ابنة السلطان محمود الثاني، عديلة سلطان (١٨٢٦-١٨٩٩) حيث كانت مشهورة بشاعرة الديوان وبالإحسان. كما اشتهرت بقصائدها الرائعة ورسائلها الملحمية التي كتبتها باللّغة التركية العثمانية البليغة، وهي لغة تعلمتها فقط بعد دخولها إلى القصر.

وبالرغم من الهبوط الفكري المتزايد والاضطرابات السياسية في آخر ١٠١ - ١٥٠ سنة من عمر الخلافة العثمانية، إلاّ أنه لم يتوقف بناء المؤسسات التعليمية من قبل الحكومة. وعلى وجه الخصوص قام السلطان محمود الثاني وعبد الحميد الأول بكل ما يستطيعونه من أجل إقامة نظام تعليمي مرموق للأمّة الإسلامية.

قام السلطان محمود الثاني عام ١٨٣٠م بتأسيس نظام تعليمي إلزامي للبنات والبنين ابتداءً من جيل الخامسة إلى عمر البلوغ. وقام أيضًا بمنع توظيف الأطفال أو انضمامهم إلى المهن قبل إنهائهم للمدرسة. كان المدرسون لهذه الصفوف عادةً ما يكونون أئمة المساجد في الأحياء السكنية أو نساء متعلمات.

ولكن لم يكن ممكنًا المحافظة على هذه القوانين بسبب التطورات السياسية، لذا حاول الخليفة عبد الحميد عام ١٨٤٥م مرةً أخرى تنظيم التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية في كافة أنحاء الدولة، وكان يتم مراقبة المدرسين جيدًا، ثمّ توسيع المنهاج الدراسي ومراقبة الحضور.

القرآن الكريم كان يُدرّس في المرحلة الابتدائية بالإضافة إلى الكتابة واللّغة التركية والعقيدة الإسلامية الأساسية والأخلاق والهندسة والحساب والتاريخ وحفظ القرآن الكريم غيبًا، بالإضافة إلى المواضيع الأخرى. وخلال هذه الدروس جلس البنات والبنين في طابور منفصل داخل الصفّ الدراسي. وكان شاهزاد محمد ابن السلطان عبد الحميد الأول قد افتتح مدرسةً في منطقة إيمرجان في اسطنبول عام ١٧٧٨م. هذه المدرسة قدّمت التعليم بعد المدرسة الابتدائية للبنات والبنين وسُمّيت على اسم والدته هوماشاه هاتون.

وفي عام ١٧٨٣م قدّمت مدرسة للبنات فقط التعليم الثانوي في كومبكابي حيث قامت ثلاث معلمات، عائشة ونفيسة وهاديسي بالإشراف على تعليم البنات. وبعدها في عام ١٨٠٧م أُسّست مدرسة طاهر هاتون الثانوية للبنات في منطقة سيركشي في اسطنبول.

بالإضافة إلى مدرستين أخريين ثانويتين في أوسكودار / اسطنبول عام ١٨٠٧ و١٨١١، ومدرسة ثانوية في سيفيك نيهال أوسطا عام ١٨٤٢. وهذه المدرسة الأخيرة أسّسها رئيس صندوق فاليدا سلطان (والدة الخليفة). وهذه أمثلة قليلة توضّح وجود المدارس في الخلافة العثمانية حين تلقّت البنات فقط، والبنات والبنين مع بعضهم بعضاً التعليم.

هذه المدارس الثانوية للبنات حوت مناهج دراسية واسعة شملت دراسة القرآن الكريم وترتيله والدراسات الإسلامية والأدب وقواعد العثمانية والعربية والفارسية والصحة والهندسة والحساب وفن الخطوط والتاريخ والحرف ومعلومات عامّة حول الحياة. وكانت الإدارة المنزلية موضعًا مهمًا يتم تدريسه في هذه المدارس. وقدّمت المدرسة معلومات تفصيلية وشاملة حول مواضيع واسعة ومتعددة من أجل تجهيز البنات لحمل مسؤولياتهن الإسلامية بعد الزواج. ويشمل هذا كل شيء من الطبخ إلى العلاج في البيت إلى الخياطة والحسابات المنزلية، وفنّ الضيافة ومعالجة الأمراض البسيطة. وأيضًا التغذية الصحية المناسبة للعناية بالأطفال وكبار السّن.

وسواء أكان التعليم في المدارس أو في البيت، كانت العثمانيات جاهزات جيدًا لتحمّل المسؤولية في البيت. وكنّ يمتلكن المعارف والخبرة اللازمة للعب أدوارهن كزوجات.

وفي عام ١٨٤٢م تمّ افتتاح أول دورة حكومية لتخريج القابلات في تيبهاني - أ. أميري وأول خرّيجاته كنّ ١٠ مسلمات و٢٦ من غير المسلمات. وبعدها بأعوام، عام ١٨٥٨م تم افتتاح أول مدرسة رشدية ثانوية للبنات وخصوصًا كالفا إناس روشيديسي ووفّرت التعليم الديني الأساسي، وفي هذه المدارس عملت النساء، مسلمات وغير مسلمات، كمعلمات، وخصوصًا دروس الخياطة. ومنذ عام ١٨٧١ أشرفت النساء في بعض المدارس على الإدارة. ومع مرور الوقت تطلب وجود المدارس الثانوية للبنات إنشاء مدارس تدريب معلمات للإناث حيث تستطيع خرّيجاتها العمل كمعلمات في الرشديّات. وبناءً على ذلك تمّ افتتاح دار المعلمات عام ١٨٧٠. وفي نفس العام تمّ إنشاء مدرسة أخرى للبنات. مدرسة الفنون والحرف (سانايي مكتبليري). ومن خلال توفير الدورات الحرفية مثل الخياطة والطبخ والتطريز ونسج السجّاد، جهزت هذه المدرسة الإناث الدخول إلى سوق العمل إذا ما رغبن في ذلك.

وتمّ توظيف الخرّيجات في مجالات حكومية مختلفة من أجل خدمة الناس بالمهارات التي اكتسبنها، مثل العمل كمترجمات للغات أجنبية متعددة. وأظهرت السجلات أن النساء كنّ يتلقين منحًا خلال تعليمهن.

إن دولة الخلافة وقادتها الذين حكموا بالإسلام رأوا أنه من واجبهم توفير احتياجات الأمة بالإضافة لهذا، لا يوجد أي دليل على معاملة النساء كرعايا من الدرجة الثانية، أو سلبهنّ حقّهن في التعليم أو العمل أو في توظيف مهاراتهن لخدمة الناس. على العكس من ذلك، كان التشجيع والمساعدة من قبل الدولة يُعطى لهنّ للسير في طريق العلم واكتساب مهارات متعددة في ظلّ الدولة التي تطبّق أحكام الله عزّ وجل.

قال رسول الله ﷺ: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**»

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
زهرة مالك

القيم التي يجب تحقيقها في سلوك الأطفال

حتى ينشأ الأبناء نشأة سوية لا بد أن تتحقق في سلوكهم أربع قيم بشكل متوازن فلا تطغى قيمة على قيمة ولا تمحى قيمة لأجل قيمة أخرى، بل لا بد أن تتحقق في سلوكهم جميعا وهي:

١- القيمة الروحية: تتحقق القيمة الروحية في سلوك الأبناء بربطهم منذ الصغر بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية من عبادات وأخلاق وملبوسات ومطعومات ومعاملات.

- استحباب الأذان والإقامة في أذن الطفل عند الولادة فيؤذن في الأذن اليمنى وتقام الصلاة في الأذن اليسرى، لما روى ابن السني عن الحسين بن علي عن النبي ﷺ: «**مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى، لَمْ يَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ**»

- تعليمه شيئا من الدعاء عند طعامه وشرابه وقضاء حاجته.

- تعليمه شيئًا من القرآن حتى يتمكن من أداء الصلاة في سن السابعة لقول الرسول ﷺ «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**» (رواه أحمد)، وعلى الوالدين اتباع الأساليب والوسائل المحببة للأطفال حتى يعودوهم على الصلاة والصيام منذ سن مبكرة، لأن هذه العبادات تحتاج إلى تدريب منذ الصغر، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعودون أبناءهم على الصيام، وإذا بكى أحدهم من الجوع أعطوه بعض الدمى ليلعب بها لتلهيه عن طلب الطعام.

- تعليمه شيئا من سيرة النبي ﷺ وصفاته، يقول أحد الصحابة: (كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلمهم السورة من القرآن).

- كما ينبغي تربية الأولاد على مراقبة الله في أفعالهم وتصرفاتهم والخوف منه وطاعته والبعد عن نواهيه.

٢- القيمة الإنسانية: لقد أوجد الله في الإنسان غريزة النوع، وهي خاصية في الإنسان تدفعه للمحافظة على بقاء النوع الإنساني، ومن مظاهر هذه الغريزة عواطف الأبوة والبنوة والأمومة، ولولا هذه العواطف لانقرض الجنس البشري، ولما صبر الوالدان على رعاية أبنائهما، ولما قاما بكفالتهم وتربيتهم والسهر عليهم في مرضهم والنظر في مصالحهم. قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، مقابل هذه العواطف الجياشة التي تحمي الأطفال وتساعدهم في حياتهم، طلب من الأولاد محبة والديهم ومعرفة حقهم واحترامهم ببرهم وطاعتهم والإحسان إليهم والقيام على خدمتهم في الكبر، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

ومن القيم الإنسانية أيضا أن تحسن إلى الجيران والأصدقاء والمقربين خاصة والناس عامة وأن تتعاون معهم وتساعد في قضاء حوائجهم، قال ﷺ: «**وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» (رواه مسلم).

٣- القيمة الخلقية: الأخلاق هي صفة ملازمة للشخص وسجية فيه ويجب أن يربى الأولاد منذ الصغر على الصدق والأمانة والاستقامة والوفاء وتنقية اللسان من السباب والشتائم والكلام البذيء، وأن يربى الأطفال على الترفع عن الدنايا وكل ما يحط من المروءة، وأن يتعلم الطفل كيف يتحكم في ذاته وفي مشاعره بحيث يفصل بين الإحساس وردة الفعل المباشرة بالتفكير، فإذا سبه أحد أو شتمه لا يندفع فورا إلى الرد عليه والانتقام منه، بل يهدأ ويمسك نفسه ويتحكم فيها ويمنعها من الاسترسال بغضبها، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**» (رواه البخاري ومسلم)، وعلى المربي أن يكون قدوة في ذلك فلا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم عن البكاء أو ترغيبهم في أمر ما، أو تسكين غضبهم لأنهم يتعلمون منه الكذب ويقلدونه. روى أبو داود والبيهقي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ﷺ، قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أُمِّي وَأَنَا غُلامٌ، فَأَدْبَرْتُ خَارِجًا، فَنَادَتْنِي أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، تَعَالَ هَاكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَاذَا تُعْطِيهِ؟**»، قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، قَالَ: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةً**».

سلم القيم: اختلف الناس في تحديد أولويات القيم التي يجب تحقيقها، فإذا ما تعارضت قيمة مع أخرى وكان الوقت لا يتسع إلا لتحقيق قيمة واحدة، فما هو المحك الذي يجب الرجوع إليه في تحديد القيمة المطلوب تحقيقها. إن هذا الأمر لا يصح أن يترك للعقل البشري لأنه يتأثر بالبيئة والظروف ولأنه يحمل مواصفات الإنسان من العجز والنقص والاحتياج وأسلم طريقة لتحديد الأولويات في القيم هو الرجوع إلى الإسلام الذي أنزله الله على الناس وهو رب خبير بالنفوس عليم بما يحتاجون إليه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

والإسلام لم يجعل سلم القيم بترتيب جامد لا يتغير فربما طلب تحقيق قيمة إنسانية على حساب قيمة روحية فمثلا إذا كانت الأم تصلي وابنها واقف قريب من مصدر النار فإذا انتظرت حتى تكمل صلاتها وتبعده عن مصدر الخطر، فربما قضي على الولد أو أصابه مكروه، لذا عليها فورا ترك الصلاة وإبعاد الولد عن مصدر الخطر.

وربما قدمت القيمة المادية على القيمة الروحية، فقد روي أن عمر بن

الخطاب مر على جماعة في المسجد يعبدون الله في غير وقت الصلاة، وفي وقت ذهاب الناس إلى أعمالهم، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فضربهم بالعصا وقال لهم: بل أنتم المتواكلون، لقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

لكن في الأعم الأغلب فإن القيمة الروحية مقدمة على القيم المادية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، بل إن القيمة الروحية مقدمة على القيمة الإنسانية إضافة إلى القيمة المادية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
نجاح السباتين – ولاية الأردن

هناك حاجة الآن إلى "ثورة في التعليم"
في بلاد المسلمين!
هذه الحملة المهمة وهذا المؤتمر يهدفان إلى:

- فضح ومواجهة الأجندة الحالية المكثفة لزيادة علمنة التعليم في العالم الإسلامي!
- تسليط الضوء على الأسباب التي أدت إلى "أزمة التعليم" في بلاد المسلمين!
- تقديم تصور لسياسة التعليم في دولة الخلافة وكيف ستبني عمليا نظاما تعليميا من الدرجة الأولى والذي سوف يحيي جيلا ذهبيا من المفكّرين والعلماء وينشئ الحضارة المجيدة مرة أخرى!
- توضيح الحقوق التعليميّة للمرأة المكفولة في ظلّ نظام الحكم بالإسلام!
- إعطاء توجيهات حول تنشئة أبناء المسلمين وتربيتهم تربية إسلاميّة من أجل بناء شباب مسلم قادر على مواجهة التّحدّيات التي تواجه الإسلام في القرن الـ21!

ندعوكم لمتابعة
هذه الحملة المهمة ودعمها!

الخلافة والتعليم
إحياء العصر الذهبي

#الخلافة_التعليم

WomenandShariahA @Wom_Sharia Women_Sharia

Khilafah.Education2017@gmail.com

مترجم

المدارس الأفغانية تُسَخَّر لخدمة الحرب الاستعمارية بدلًا من العملية التعليمية!

ادعت أمريكا بعد سقوط نظام طالبان بأن النظام التعليمي في أفغانستان قد حقق نموًا سريعًا. فهم يرون أن أكبر نجاح لهم منذ بدء الاستعمار يتمثل في بناء وإعادة بناء بعض المدارس وتوفير الإمكانية لنسبة أكبر من الإناث للالتحاق بالمدارس. ولكن نظرة بسيطة على نظام التعليم في البلد الذي مزقته الحرب تبين أن هذا التقدم المزعوم ليس إلّا ضربًا من الوهم.

فأفغانستان لا تزال إحدى الدول التي ما زال الكثير من أطفالها، الذين يبلغون سن الدراسة، لا يستطيعون الذهاب إلى مدارسهم. فبحسب وكالة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) تبلغ نسبة الأطفال في أفغانستان الذين لا يرتادون أية مدرسة نحو ٤٠٪. وقال المشاركون في سلسلة المناقشات التي نظمها "معهد صحافة الحرب والسلام" إن العديد من الأطفال الأفغان يضطرون إلى الانخراط في العمل البدني الشاق من أجل إعالة أسرهم، ونتيجة لذلك فهم يخسرون فرصهم في التعليم. ويعمل نحو ٣١٪ من الأطفال في أفغانستان في الأعمال الشاقة لإعالة أسرهم بطريقة غير مشروعة. فعلى سبيل المثال، يبلغ عدد الأطفال، الذين يبلغون سن الدراسة، في ننجرهار والذين لا يحصلون على أي تعليم نحو ١٥٠٠٠٠ بسبب الفقر وغيره من المشاكل التي قد سببتها الحرب.

وقد تم إغلاق مئات المدارس بسبب التهديدات الأمنية، وتبلغ نسبة المدارس التي ما زالت تعمل ولكن في العراء نحو ٦٥٪. وعلى الرغم من أن التقارير البحثية تشير إلى أن الإغلاق قد طال نحو ٧٨٠ مدرسة في ٣٤ ولاية، إلا أن وزارة التربية والتعليم الأفغانية تدعي أن الإغلاق قد طال ثلث هذا العدد فقط. والمشكلة الأكبر هي المسافات بين القرى. فهي كبيرة جدًا، والسفر إلى المدارس من أبناء هذه القرى يعرضهم للخطر، وخاصة الأطفال والفتيات. وهذا الواقع ينطبق تمامًا على محافظة غور الريفية، حيث يعيش فقط نحو ٢٩٪ من السكان على بعد خمسة كيلومترات من أقرب مدرسة ابتدائية. ويلتحق بالمدرسة فقط ٢٨٪ من أطفال هذه المحافظة من الفئة العمرية ٦-١٣؛ وهو معدل يماثل المعدل في المناطق الريفية الأخرى في أفغانستان. وقالت مديرية التربية والتعليم في هلمند إن ١٠٤ مدرسة من مجموع مدارس هلمند البالغ عددها ٤٥٤ مدرسة قد تم إغلاقها على مدى السنوات الثلاث أو الأربع الماضية، وإن ٦٩ مدرسة قد طالها الإغلاق مؤخرًا بسبب التهديدات الأمنية. ويبلغ عدد الطلاب المسجلين في المحافظة ١٩٢٥٠٠ طالب فقط، ويشمل هذا العدد ٥١٨٦٧ طالبة. أما في محافظة زابل، فإن ٦٠٪ من الأطفال لا يستطيعون الذهاب إلى المدارس. والمقاطعات الأكثر تضررًا مثل شاهجوي، ودياشوبان، وأرغنداب، شاملزي وشينكاي. وقد طال الإغلاق في أوروزغان ٦٠ مدرسة من أصل ٢٩٢ مدرسة مسجلة منذ عام ٢٠١٢. وفي فرح تم إغلاق حوالي ٥٤ مدرسة من أصل ٣٦٧ مدرسة. والذهاب إلى المدارس هو أيضًا محفوف بالمخاطر في محافظات مثل تخار، وساري بول، وبغلان وبروان، ونانغارهار، وقندوز، وبدخشان.

وبالإضافة إلى ذلك، وعلى نحو متزايد، بدأت قوات الأمن في البلاد باستخدام المدارس، والتي تعتبر المباني الوحيدة المبنية بالإسمنت المسلح في بعض القرى، كقواعد عسكرية خلال الهجمات ضد المناطق التي تسيطر عليها طالبان. فعلى سبيل المثال، واستنادًا إلى مهمة بحثية في نيسان/أبريل عام ٢٠١٦، استخدم الاحتلال ١٢ مدرسة في منطقة واحدة من مقاطعة بغلان في شمال شرق أفغانستان لأغراض عسكرية. واستخدام المدارس بهذه الطريقة، يجعلها عرضة لخطر الهجوم، وبالتالي يجعل الطلاب والمعلمين عرضة للخطر.

وحقيقة أخرى تعكس عمق أزمة التعليم في أفغانستان وهي الحالة

العامة للمدارس. فهناك الآلاف من المدارس التي تنظم صفوفها الدراسية في الخيام وفي العراء، ويشمل ذلك أيضًا العاصمة كابول. ففي العاصمة الأفغانية تعمل ٨١ مدرسة من أصل ٢٧٣ مدرسة في مقرات مؤقتة. وعلى سبيل المثال، لا تملك نصف المدارس في قندوز أي مباني، وكذلك أكثر من نصف المدارس في تخار. أما في قندهار، فلا تملك ٢٧٤ مدرسة من أصل ٤٥٨ أي بناء على الإطلاق. والتلاميذ في ٩٧ مدرسة فقط من أصل ٣٨٨ مدرسة من مدارس ساري بول لا يملكون سقوفًا فوق رؤوسهم. وتفتقر العديد من المدارس التي بنتها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (يو أس أيد) في هرات إلى الاحتياجات الأساسية بما في ذلك الكهرباء والمياه النظيفة، والعيوب الإنشائية فيها تؤثر على ممارسة العملية التعليمية وذلك بحسب رسالة إلى الوكالة من المفتش العام المختص بإعادة إعمار أفغانستان.

وتوفر المدارس تعليمًا ضعيفًا في مبان متهدمة تعاني نقصًا في الاحتياجات الأساسية، وفي الوقت نفسه يتكدس الطلاب في صفوفها الدراسية، ويستمر التدريس فيها لمدة بضع ساعات فقط قبل أن يأتي فوج طلبة آخرين. وفي بعض الأماكن، حتى في العاصمة كابول، يجلس الطلاب على الأرض في الخيام لأخذ دروسهم. والمعلمون في كثير من الأحيان غير مؤهلين، وبعضهم لم ينهِ أبدًا المدرسة الثانوية. وفي الوقت نفسه، بالكاد يستمر اليوم الدراسي في أفغانستان ثلاث ساعات. وعلاوة على ذلك، فإن جودة محتوى الكتب الدراسية سيئة جدًا، حتى إن عددًا قليلًا من المدارس تمتلك مختبرات علمية بأدوات بدائية. أما المعلمون فهم غالبًا لا يحصلون على التجهيزات المطلوبة، ويتقاضون أجورًا زهيدة، وأعدادهم قليلة جدًا وغير راضين بشكل متزايد عن وظائفهم. فراتب المعلم في أفغانستان هو حوالي ٥٠٠٠ أفغاني شهريًا فقط، أي ما يعادل ١٠٠ دولار. ونتيجة لذلك، تظاهر المعلمون في حزيران/يونيو من العام الماضي للمطالبة بزيادة الأجور.

ونقطة أخرى مهمة وهي سوء حالة التعليم للفتيات والنساء في أفغانستان. فنسبة محو الأمية في صفوف النساء في أفغانستان تبلغ نحو ١٤٪، مما يجعله بلدًا يعاني من أدنى نسب محو الأمية على مستوى العالم. فقد أفادت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) أن ٩٠٪ من النساء الأفغانيات في المناطق الريفية أميات. وهذه الظاهرة تشكل انعكاسًا للمشاكل الاقتصادية الكبيرة. وغالبًا ما تُزوج الأسر الأفغانية الفقيرة بناتها الصغيرات ويكتفون بما وصلت في تعليمها حتى لا يتحملوا نفقاتها المالية، وفي كثير من الحالات يتم تزويج الفتيات مقابل المال. وتكلفة نفقة الابنة حتى تنهي تعليمها غالبًا ما يكون أكبر من القدرات المالية لهذه الأسر. وانعدام الأمن وعدم وجود مرافق صحية منفصلة وصفوف دراسية خاصة للطالبات، والنقص الحاد في المعلمات، كلها شكلت عوامل أثرت على التحاق الفتيات بالتعليم. وتقول وزارة التربية والتعليم إن نحو ثلث الطالبات ينقطعن عن الدراسة ولا يعدن مطلقًا.

ومع هذه الحالة المخيفة لنظام التعليم في أفغانستان فضلًا عن الظروف السياسية والاقتصادية العامة البائسة والفوضى والعنف في البلاد، فإنه ليس من المستغرب أن تهاجر الأدمغة من هذه البلاد التي مزقتها الحرب بشكل هائل. ووفقًا لدبلوماسي، فإن ملايين اللاجئين الأفغان بعد عام ٢٠٠١ يعيشون الآن خارج البلاد، وخاصة في باكستان وإيران. وقد عادوا إلى البلاد على أمل تحسن الحياة والأمن وفرص العمل. فقد أفادت تقارير اليونسكو أن نحو ١٧٠٠٠ طالبًا أفغانيًا درس في الخارج في عام ٢٠١٣، فقد درس في إيران ٩٠٣٣ طالبًا أي ٥٣٪، وفي الهند ٢٣٣٠ طالبًا أي ١٤٪، وفي تركيا ١٣١٠ طالبًا ٨٪، وفي السعودية ١٢٢٦ طالبًا أي ٧٪، وفي أمريكا ٤٢٨ طالبًا أي ٣٪. وذكرت صحيفة واشنطن بوست في ١٣ آب/أغسطس عام ٢٠١٦ أنه حتى لو وعدت الحكومة بتوفير فرص عمل للشباب، فإن ذلك لن يغير من حقيقة أن التوقعات الاقتصادية في أفغانستان ليست مبشرة في المستقبل القريب. ويقدر البنك الدولي أن نمو الناتج المحلي الإجمالي كان ١,٩٪ في عام ٢٠١٦، وهو يمثل انخفاضًا للعام الثالث على التوالي بنسبة ٢٪. وبالتالي فإن هذه الظروف المروعة تدفع بعضًا من ألمع العقول الشابة في أفغانستان إلى الفرار من البلاد.

وأما الرئيس أشرف غاني فقد صرح أن من أولوياته وقف هجرة الأدمغة من البلاد. وفي العام الماضي، بدأت حكومة الوحدة الوطنية في أفغانستان برنامجًا يسمى "وظائف للسلام" لتحفيز المزيد من فرص العمل واستعادة الثقة في الاقتصاد. غير أن نقص التمويل وعدم الاستقرار في البلاد يحد بلا شك من تأثير هذه المبادرة، وهكذا فإن الشباب يتعرضون لمستقبل بائس.

كما أن التعليم أيضًا باهظ الثمن في أفغانستان، وقد تحول إلى مشروع لتحقيق المكاسب المالية. وهناك بعض المدارس والجامعات الخاصة والتي تعطي وعودًا بتوفير مستوى تعليمي أفضل. والمدارس الخاصة والجامعات غالبًا ما تكون مكلفة للغاية وهو ما يتجاوز قدرات الكثير من الأسر الأفغانية. فعلى سبيل المثال، عادة ما تتقاضى الجامعة الأمريكية في أفغانستان والجامعة السويسرية من الطلاب بنفس المبالغ التي تتقاضاها بلادها الأم (أمريكا/سويسرا). فرسوم الجامعة الأمريكية في أفغانستان على سبيل المثال تبلغ حوالي ١٨٧٠٠ أفغانيًا أي حوالي ٤٠٠ دولارًا أمريكيًا لكل ساعة معتمدة.

إلى جانب هذا، فقد صنفت المنظمات الدولية المعنية بمكافحة الفساد أفغانستان في السنوات الأخيرة بشكل متكرر بأنها من بين أكثر دول العالم فسادًا. وقد اعتقلت قوات الشرطة الأفغانية ٧ عمال في وزارة التربية والتعليم بتهمة اختلاس ٢٦ مليون أفغاني.

إن هذه المعلومات عن أزمات التعليم في أفغانستان تبين بوضوح الواقع الحقيقي البشع الذي وصل إليه التعليم في البلاد. والسبب الحقيقي الذي أدى إلى هذه الكارثة هو القوى الغربية العلمانية التي ادعت أنها ستساعد الشعب الأفغاني ولكنها في الواقع لا تهتم مطلقًا سوى بتحقيق أهدافها الاستعمارية في المنطقة. إن هذه القوى تغرق الشباب في عاصفة من الإرباك حول التعليم وتمنحهم آمالاً كاذبة ووعودًا زائفة لا يمكن أن تتحقق لبلد مثل أفغانستان الذي وصل إلى هذه الحالة الكارثية. وتحاول الحكومات الفاسدة أن تخفي هذه الحقيقة عن الناس عن طريق جعل الأعداء مؤتمنين على بناء النظام التعليمي في البلاد المستعمرة.

إن الطريقة الوحيدة الحقيقية لتوفير تعليم يتمتع بجودة عالية هي من خلال نظام التعليم في دولة الخلافة والتي يكون فيها التعليم حقًا مكفولًا لكل من يحمل تابعيتها. والخلافة ستحقق أهدافها عن طريق تعليم كيفية بناء شخصيات إسلامية قوية، وبالتالي ستحمي النظام التعليمي من أي شيء يمكن أن يضر بالأسس الإسلامية للدولة أو الهوية الإسلامية لأبنائها وأمتها. وبالتالي، فإنه يتوجب على جميع المسلمين العمل لإقامة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، التي وحدها ستتمكن من النهضة بنظام التعليم الإسلامي.

إن حالة الانحطاط التي بلغها نظام التعليم الحالي في أفغانستان تبين بوضوح مرة أخرى أن النهضة الحقيقية لهذه الأمة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال الدين الإسلامي الحنيف وليس على يد القوى الاستعمارية. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩]

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
آمنة عابد

مترجم

الحقيقة المأساوية لعلمنة نظام التعليم في بنغلادش

طوال تاريخ بنغلادش، كان نظامها التعليمي مؤطرا دائما بالعلمنة السياسية التي تطبقها الحكومات العلمانية المتعاقبة في البلاد. والآن فإن هذا الوضع المحزن لواقع النظام التعليمي يسير بخطوات أكثر كارثية بسبب القرارات التي تبنتها الحكومة الحالية تحت ذريعة ما يسمى "التحديث". إن عملية العلمنة هذه لم تجلب أي خير في الماضي ولن تجلب أي خير في المستقبل لمسلمي بنغلادش.

مباشرة بعد استقلال البلاد وتأسيس الدستور على قواعد العلمانية، شكل الشيخ مجيب، والذي أصبح فيما بعد رئيس الوزراء وراعي مصالح الغرب في البلاد، شكل أول لجنة تعليم علمانية سميت بـ"كودرات-إي-كودا" "Kudrat-e-Khuda" هذه اللجنة تجاهلت الإسلام ونحَّته تماما عن نظام التعليم العام وأسست لقواعد متينة للتعليم العلماني. بعد الاغتيال الوحشي للشيخ مجيب، تعاقبت حكومات في بنغلادش كانت أحيانا أقل وأحيانا أكثر تنفيذا للسياسة العلمانية. ولكن العلمنة جاءت ضمن حملة جديدة عام ٢٠١٠، وذلك عندما اقترحت حكومة عوامي المدعومة من قبل الغرب سياسة التعليم المنقحة بذريعة "التحديث" وشكلت لجنة تعليم جديدة من أجل علمنة النظام التعليمي في البلاد أكثر وأكثر.

وفي حين كانت مناهج التعليم القديمة قائمة على الأساس العلماني بالفعل حيث كان الإسلام فيها يدرس على أنه موضوع مجرد لا صلة له بالإيمان ولا التاريخ ولا الثقافة التي يحملها المسلمون في البلاد، فإن البلاد خلال السنوات الأخيرة وبعد توحيد القوى في الساحة السياسية، ووصول حكومة عوامي التابع للغرب إلى الحكم اتخذت هذه الأخيرة خطوات عديدة للقضاء على أي أثر للإسلام من عقول الشباب المسلم في بنغلادش. فعلى سبيل المثال، كانت الحكومة قد عينت وبشكل متعمد عددا كبيرا من العلمانيين، والملحدين والهندوس في مناصب رئيسية في وزارة التربية والتعليم، ولجنة التربية الوطنية ولجنة تنسيق المنهاج الوطني (NCCC). حتى إن وزير التعليم الحالي هو الشيوعي المعروف نور الإسلام ناهد. ورئيس لجنة التربية الوطنية الحالي البروفيسور كبير تشودري وهو شخص يحمل فكرا معاديا للإسلام ومعروف بالفعل بتصريحاته البغيضة ضد الإسلام. وعلاوة على ذلك، فإن غالبية أعضاء اللجنة الوطنية للتعليم هم من خلفيات علمانية أو ملحدة. وحاليا فإن رئيس لجنة تنسيق المناهج NCCC هو من الأقلية الهندوسية أيضا. وفوق ذلك كله، فإن أولئك المسؤولين عن كتابة وتحرير الكتب الإسلامية هم إما من الطائفة القاديانية أو من العلمانيين الذين يتخفون ويتسترون ببعض الممارسات الإسلامية. إن هؤلاء جميعا يعملون دون كلل أو ملل على علمنة المناهج التعليمية الدراسية لنظام التعليم ويسعون في الوقت ذاته إلى إيجاد خلط متعمد حول العقيدة الإسلامية في عقول الطلاب وذلك عبر تقديم معلومات مثيرة للجدل ومتضاربة في الكتب المدرسية.

على سبيل المثال، كانت هناك أخطاء إملائية عديدة في المصطلحات العربية في الكتب الإسلامية والمتعلقة بكلمات مثل: القرآن، تقدير، نبي، رسول، تقوى، إلخ... لخلق بلبلة في أذهان الطلاب، وفي كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث وحده وجد فيه ٥٨ خطأ إملائيا. وعلاوة على ذلك، فإن هناك عددا كبيرا من الأخطاء في الآيات القرآنية والأحاديث وحتى في الأدعية المذكورة. وقد وجدت عبارات مخالفة تماما للعقيدة الإسلامية في كتب التربية الإسلامية. ففي كتاب التربية الإسلامية للصف التاسع، كتب بأنه لا يجوز أكل الحيوانات إلا تلك التي تذبح في سبيل الله والأصنام. ومن المثير للاهتمام، أنه وبعد التحقيق تبين أن هذا الخطأ لم يكن موجودا في الكتب التي طبعت حتى عام ٢٠١٤ وأنها لم تظهر إلا في الطبعات ما بعد هذه السنة. وبالتالي، فإن النقاد يقولون بأن هذه الأخطاء متعمدة هدفها تضليل أبناء المسلمين في هذه البلاد.

وفوق ذلك، فقد أزالت الحكومة عددا من النصوص القديمة من الكتب البنغالية من الصف الثاني وحتى العاشر كانت مرتبطة بالإسلام، والتاريخ الإسلامي والأخلاق، وأضيفت نصوص جديدة في المناهج

كتبها ملحد مشهور أو كُتاب من الهندوس. فعلى سبيل المثال: حذفت قصص قصيرة تحدثت عن حياة النبي محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكتب البنغالية لصفوف الثاني والثالث والرابع والخامس. وألغيت قصائد ومقاطع لكتاب مسلمين بارزين كانت تتحدث عن شخصيات إسلامية عظيمة أو أخلاق وقيم إسلامية من الصف الخامس إلى الصف العاشر.

وعوضا عن وضع نصوص إسلامية أضيفت قصيدة معادية للإسلام في كتاب الصف الخامس كتبها كاتب ملحد سيئ السمعة اسمه همايون آزاد. وفي تلك القصيدة، حث الكاتب بشكل غير مباشر الشباب على الامتناع عن قراءة القرآن متهما إياه بنشر الخوف والكراهية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أضيفت قصص ذات صلة بمعتقدات وتقاليد وثقافات هندوسية في الكتب المدرسية من الصف السادس إلى العاشر. وعلاوة على ذلك فقد أضيفت موضوعات متعلقة بالتربية الجنسية بشكل غير مباشر باسم تعليم الصحة الإنجابية. كما تمت إضافة كتاب بعنوان "اعرف نفسك" إلى المناهج الجديدة لتعليم الأطفال العلاقات بين الرجل والمرأة من سن مبكرة جدا.

وبالإضافة إلى كل هذه التصرفات المخزية المقيتة فإنه وباسم التعليم التثقيفي، أوصي وبشدة بتنظيم الدراما والموسيقى وبرامج الأوبرا وبرامج الرقص وأدائه والفنون التجميلية والأكاديميات المسرحية في كل قرية وبلدة وتجمع ليكون ذلك سهما جديدا يصوب لجيل الشباب ليحرفهم عن قيم الإسلام. ومع هذا فقد تبنت الحكومة خطة طويلة الأجل لتخضع المدارس التعليمية لسيطرتها ليتسنى لها القضاء تماما على القليل الذي بقي من الفقه الإسلامي والقرآن والحديث واللغة العربية.

وفوق ذلك، فقد كشف أبو القاسم فضل الحق الأستاذ والتربوي الشهير في جامعة دكا، في مقابلة له على القناة التلفزيونية المعروفة Rtv، الأجندة الحقيقية للغرب بشأن نظام التعليم في بنغلادش. ووفقا لأقواله، فإن الحكومة تقدم الكتب المدرسية للطلاب من الصف الأول إلى الصف العاشر مجانا. والأموال الضخمة التي تحتاجها الحكومة لطباعة وتوزيع هذه الكتب لملايين الطلاب تحصل عليها من اليونيسيف واليونسكو. منذ الاستقلال، كانت الحكومات المتعاقبة تحصل على المال من منظمات مانحة إلا أن الشعب البنغالي لم يكن واعيا على الأجندات الخفية لهذه المنظمات. إن هذه المنظمات المانحة تتأكد قبل أي دعم من أن المناهج ستصاغ وفقا لتوجيهاتهم العلمانية والليبرالية على نحو يجعل منها عديمة الفائدة بالنسبة للطلاب. إن أجندتهم الأساسية هي إبقاء الأمة في جهل وبناء عبيد من المتعلمين الذين سيسيرون في ركب الأجندة العلمانية وسيعملون ضد مصالح الإسلام والمسلمين في بنغلادش.

وبالتالي فإنه من الواضح بأن كل هذه الإجراءات الوقحة من قبل الحكومة هي مدبرة ومخطط لها ومترابطة. هدفها النهائي تجريد الشباب المسلم في بنغلادش من هويته الإسلامية وتلقينهم الثقافة غير الإسلامية حتى يكونوا جاهلين بتاريخهم الذهبي ويبتعدوا عن عيش حياتهم على أساس أفكار الإسلام وقيمه. ولتحقيق أجندتهم البغيضة وإرضاء أسيادهم المستعمرين فإن الطبقة الحاكمة لم تتوقف عند هذا الحد. فقد قامت خلال الأشهر القليلة الماضية بإغلاق عدد من المدارس الإنجليزية الإسلامية في جميع أنحاء البلاد، ووضعت قيوداً عديدة على تلك التي تكافح من أجل البقاء. وعلاوة على ذلك، فقد أوقفت وبالقوة برامج تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية في العديد من المدارس. كما تم إغلاق العديد من الحلقات الدراسية الإسلامية وحلقات تعليم اللغة العربية وذلك لإبعاد جيل الشباب عن أية فرصة يمكنه بها التعرف على الإسلام في أي مكان في المجتمع. وعلى الرغم من أن السياسات التعليمية الجديدة التي تنفذها الحكومة قد لاقت نقدا وإدانة على نطاق واسع من مختلف قطاعات المجتمع وخاصة الجماعات الدينية إلا أن الحكومة تصر على تنفيذها.

إن هذه المحاولات اليائسة للنظام العميل للغرب جعلت الأمر واضحا بأن حسينة وحكومتها العميلة للغرب يخشون من عودة حقيقية للإسلام في بنغلادش. ومثل مناطق أخرى من العالم، فالصحوة الإسلامية الصحيحة قد وصلت بنغلادش، وهناك عدد كبير من الشباب المسلم الذين عادوا بالفعل إلى حظيرة الإسلام، وتركوا وراءهم نمط الحياة الغربي الفاسد الذي يروج له على نحو هائل في وسائل الإعلام العلمانية وغيرها من أدوات العلمانية وأسلحتها التي تستخدمها الدولة. وفوق ذلك، فإن هؤلاء المسلمين الملتزمين على استعداد لبذل كل شيء في سبيل عقيدتهم. وبالتالي، فمهما حاولت الحكومة ومعها ومن ورائها أسيادها المستعمرون الحد من انبعاث الإسلام وعودته فإن نظام الحكم الإسلامي في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة سيشرق في بنغلادش والعالم الإسلامي قريبا جدا بإذن الله، وستطبق هذه الدولة نظاما تعليميا راقيا سيهدم كل المؤامرات التي حيكت وتحاك للأمة الإسلامية في بنغلادش والعالم أجمع.

كتبته للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير
فهميدة بنت ودود

١ / آذار / مارس - جاكارتا ٠ اندونيسيا

مجلة مختارات ٨٥